روايات مصرية للجيب
ملف المستقبل
٨٧
نصف آلى
Looloo

www.helmelarab.net

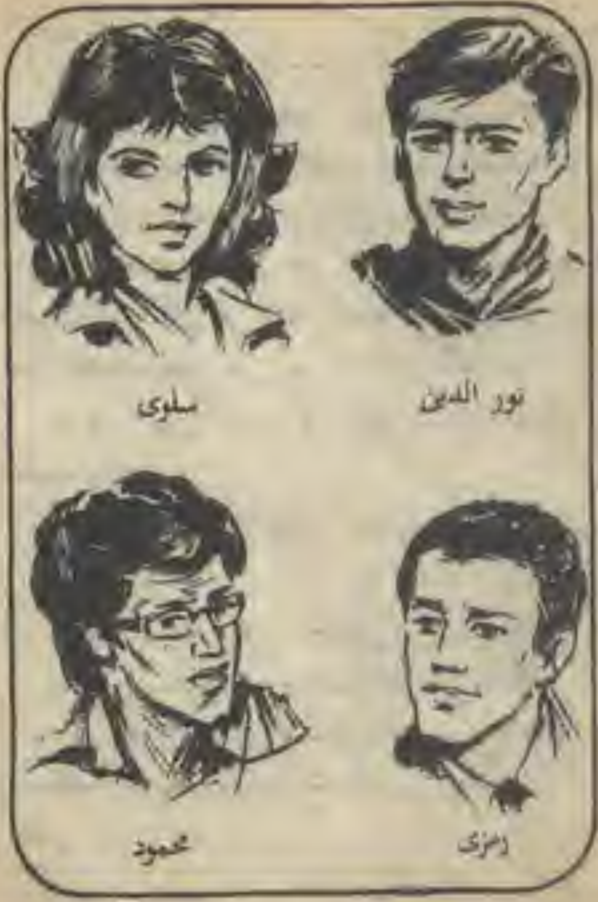

١ ـ الرعب ..

بدأت تلك الليلة ، من ليالى الشتاء ، فى القرن الحادى والعشرين ، هادئة ساكنة دافئة ، بعد انحسار موجة شديدة البرودة ، استغرقت أكثر من أسبوعين متتاليين ، وتألقت النجوم كمصابيح صغيرة ، فى سماء مظلمة ، تمتد إلى ما لا نهاية ، وارتسمت على شفتى أحد الحراس الثلاثة ابتسامة منتشية ، وهو يقول لزميليه ، اللذين يشاركانه حراسة مخزن الإلكترونيات الحديث ، المقام على مشارف (القاهرة الجديدة) :

ـ يالها من ليلة رائعة ، لم ننعم بمثلها منذ وقت طويل !

وافقه أحد زميليه بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح .. الشتاء يزداد برودة فى كل عام ، حتى أننا كدنا نعتاد مشهد الجليد المتساقط فى أواخر ديسمبر .

غمغم الثالث :

ـ هذا يحدث منذ ثلاث سنوات .

عاد الأول يقول بابتسامة عريضة :

- ولكننى أشعر بالارتياح والهدوء ، فى هذه الليلة بالذات ، وينتابنى شعور بأنها ستكون أفضل ليالى الشتاء على الإطلاق .

مط الثانى شفتيه ، وقال :

- كنت أتمنى أن أشاركك هذا الشعور ، ولكننى أشعر فى أعماقى بقلق مبهم ، لست أدرى كنهه .

قال الثالث فى دهشة :

- لست أرى مبررًا لهذا القلق .. كل شىء يبدو هادئًا ، جميلاً .. و ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يعتدل على نحو مفاجئ ، ويحدق فى شىء ما ، مما جعل زميليه يعتدلان بدوريهما ، وتسرى فى عروقهما موجة من التوتر العنيف ، والأوّل يهتف :

- ماذا هناك ؟.. لماذا فعلت هذا ؟

ارتجفت شفتا الرجل ، وهو يقول :

- هناك .. لقد رأيت .. رأيت ..

لم يستطع إتمام عبارته ، وهو يشير إلى شىء ما ، وسط المنطقة غير الممهدة ، إلى يسار المبنى ، فتطلع زميلاه إلى حيث يشير فى حيرة ، وتمتم الأوّل :

- ماذا هناك ؟.. لست أرى شيئًا .

ارتجفت الكلمات على شفتى الرجل ، وهو يقول :

- ولكنه كان هناك .. لقد رأيته بنفسى ، قبل أن يختفى وسط الظلام .

سأله الثانى فى توتر :

- وما هذا الذى رأيته بالضبط ؟

ارتبك الرجل ، وبدا حائرًا مضطربًا ، وهو يجيب :

- إنه رجل .. نعم .. الأرجح أنه كذلك .. لقد ظهر بغتة ، ثم اختفى .. بالتأكيد .. هذا ما حدث ..

تطلع إليه زميلاه فى حيرة ، ثم نقلا بصرهما إلى حيث يشير ، وتضاعفت حيرتهما أكثر ، مع رؤية المكان الساكن الخالى ، وتردد أحدهما لحظة ، قبل أن يقول :

- ربما كان مجرد ظل ، أو ...

لم يستطع إتمام عبارته ، لأنها لم تبد له مقنعة كما ينبغى ، إذ أن الإضاءة الخافتة للمكان لم تكن تصلح لإلقاء أية ظلال خادعة ، إلى هذا الحد ، لذا فقد أكمل الرجل عبارته بتنهيدة قوية ، قبل أن يلتقط مصباحه اليدوى ، مستطردًا :

- حسنًا .. سأذهب لإلقاء نظرة .

هتف به زميله ، الذى رأى ذلك الشخص الغامض :

- خذ مسدسك الليزرى .

ابتسم ابتسامة بسيطة ، وقال :

- اطمئن .. إننى أحمله دائمًا .

واتجه نحو الباب الخارجى ، وفتحه وخرج إلى المنطقة المقفرة ، المحيطة بالمبنى ، وسمع زميله يقول فى توتر :

- سنراقبك بالراصد .

لوّح بكفه ، قائلًا :

- لا بأس .

كان واثقًا من أن ما رآه زميله لا يتجاوز كونه وهمًا ، أو خيالًا ذاتيًا ، لذا فلم يشعر بأى قلق أو اضطراب ، وهو يتجه نحو الأطلال القريبة ، التى لم تمتد إليها يد العمران بعد ، وأطلق من بين شفتيه صفيرًا منغومًا للحن قديم ، من ألحان ما قبل الغزو (*) ، محاولًا بث مزيد من الطمأنينة إلى نفسه ، حتى بلغ الأطلال ، فأطلق ضوء مصباحه اليدوى فيها ، وأدار عينيه فى المكان لحظة ، ثم ابتسم مغمغمًا :

- كل شىء هادئ وساكن .

ثم رفع جهاز اللاسلكى الصغير إلى فمه ، وقال مبتسمًا :

- كل شىء على ما يرام .. كان مجرد وهم .

انعقد حاجبا زميله داخل المبنى ، وهو يراقبه على شاشة الراصد ، ويقول محتجًا :

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

- ولكننى رأيته بكل وضوح .. لم أكن واهمًا .

حرّك الآخر مصباحه فى المكان ، وبدت له الجدران المتهدمة أشبه بلوحة مخيفة ، بما يلقيه مصباحه من ظلال حولها ، وبما يحيط بها من بقايا الأحجار ، وعاد يكرر :

- كل شىء على ما ير ...

انحبست الكلمة فى حلقه ، عندما سقط فجأة ذلك الظل على الجدار ..

كان ظلًا بشريًا ، لشخص يقف ساكنًا جامدًا ، ولكن الشخص نفسه لم يكن هناك .. الظل البشرى يمتد من الفراغ ..

من لا شىء ..

وانتفض جسد الحارس فى عنف ، وتراجع فى رعب هائل ، وانطلقت من حلقه شهقة قوية عنيفة ، جعلت زميله فى المبنى يسأله فى هلع :

- ماذا حدث ؟.. ماذا لديك ؟

حدق الرجل فى الأطلال ، حيث اختفى الظل تمامًا ، وقال مرتجفًا :

- لست أدرى .. خيّل إلىّ أننى رأيته .. رأيت ذلك الـ ... لا ... لا .. مستحيل !

تبادل زميلاه نظرة بالقلق ، ثم قال أحدهما فى انفعال :

- عد يا رجل .. عد بسرعة .

ازدرد الرجل لعابه ، وقال فى لهجة لم يزايلها التوتر بعد :

- لا .. لا تقلقا .. إنه مجرّد ظل بسيط ، ولكن يبدو أن التوتر والقلق صوّراه لى بصورة مخيفة .. لا تقلقا .

قالها وهو يحرّك مصباحه مرة أخرى فى المكان بحذر .. ثم انتفض مرة أخرى ..

وفى هذه المرة كانت انتفاضة أشبه بانتفاضة شخص صعقه تيار كهربى قوى مباغت ..

لقد أسقط ضوء المصباح ذلك الظل مرة أخرى ..

ظل الشبح الخفى ..

وفى هذه المرة لم يكن الشبح ساكنًا أو جامدًا ..

بل كان يتحرّك ..

يتحرّك نحوه مباشرة ..

وصرخ الرجل :

- لا .. لا .. مستحيل .. ابتعد عنى .

ومع تراجعه العنيف ، سقط المصباح أرضًا ، وسمع رفيقاه صوت تهشم المصباح ، عبر مسماع اللاسلكى ، مقترنًا بصرخة رعب هائلة ، أطلقها زميلهما ، وهو يصرخ فى فزع رهيب :

- لا .. لا .. اتركنى .. النجدة ..

وانبعث من جهاز الاتصال فرقعة مخيفة ، نقلها جهاز اللاسلكى ، قبل أن يسود الصمتُ التام ، وتنقل شاشة الراصد صورة أطلال مظلمة ساكنة ...

ولثوان ، ظلّ الحارسان يحدقان فى شاشة الراصد برعب وذهول ، قبل أن يقول أحدهما مرتجفًا :

- ماذا حدث ؟

حدق الثانى فى وجهه ، ثم أمسك مسماع الاتصال ، وهتف :

- أين أنت يا رجل ؟ أجب .. ماذا حدث ؟

جاوبه صمت مطبق تام ، فسرت فى جسده قشعريرة ، ونقل بصره إلى الباب الزجاجى ، محاولاً اختراق حجب الظلام بعينيه ، ورؤية ما يحدث داخل الأطلال المظلمة ، وما عجزت شاشة الراصد عن نقله ، فى حين هتف زميله :

- لقد قتله ذلك الشىء .. قتله ما نجهل طبيعته .

تجمّد الثانى لحظة فى هلع ، قبل أن يتمتم فى رعب :

- أطلق الإنذار .. اتصل بالقيادة .. هيا .. هنالك شىء غير عادى يحدث حولنا .

سأله زميله مرتجفًا :

- أطلق الإنذار ؟!.. هل ترى أن الأمر يستحق هذا ؟ أنت

تعرف التعليمات .. هذا الإنذار لا يستخدم إلا عند الضرورة القصوى ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، تهشم فجأة الباب الزجاجى للمبنى ، واندفع عبره جسد بشرى ، ارتطم بالأرضية ، وتدحرج فى عنف ، حتى استقر عند قدمى الحارسين ..

وتراجع الاثنان فى رعب ..

لقد كانت جثة زميلهما ..

وكان وجهه يشف عما لقيه قبيل مصرعه ..

عينان جاحظتان ، وأسنان مكسورة ، وعنق محطم ..

ودلائل رعب تملأ الوجه والملامح ..

وفى ارتياع تام ، هتف أحد الحارسين :

ـ ماذا يحدث ؟ .. ماذا يحيط بنا ؟

صرخ الثانى فى هلع :

ـ أطلق الإنذار يارجل .. أطلق قبل فوات الأوان ..

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انهارت الضلفة الزجاجية الثانية للباب ، وانطلقت صرخة هلع وذعر من الحارسين ، عندما وقع بصرهما على ذلك الذى اخترق الباب ..

كان شخصًا آليًا ، له تكوين شبه بشرى ، ووجه معدنى جامد مخيف ..

وكان يتحرك نحوهما فى سرعة ..

وانتزع أحدهما مسدسه الليزرى من حزامه ، وهو يصرخ بزميله :

ـ أطلق الإنذار يارجل .. أطلقه بسرعة .

وأطلق هو أشعة مسدسه على صدر الآلى ورأسه وقدميه ، ولكن الأشعة ارتطمت بالجسد المعدنى القوى ، ثم ارتدت عنه فى قوة ، وانعكست فى كل الاتجاهات ، فى حين لم يتوقف الآلى لحظة واحدة ، وإنما واصل اندفاعه نحو الحارس ، وأطبق بأصابعه المعدنية القوية على عنقه ، ثم رفعه إلى أعلى ، وهو يتطلع إليه فى برود آلى مخيف ..

واتسعت عينا الحارس فى رعب هائل ، وهو يحدّق فى عينى الآلى ..

لم تكونا عينين آليتين ، وإنما كانتا بشريتين ..

زوج من الأعين البشرية يطل من الجسد الآلى ، ويتطلع إلى عينى الحارس فى مزيج من البرود الصارم والحزم المخيف ..

وهتف الحارس بصوت مختنق :

ـ ولكن .. ولكنك لست آليًا .. إنك .. إنك ..

وقبل أن يتم عبارته ، لوى الآلى عنقه فى عنف ، وجحظت عينا الحارس ، مع تلك الفرقعة العنيفة ، التى انطلقت من فقراته العنقية ، قبل أن يسقط رأسه على صدره جثة هامدة ..

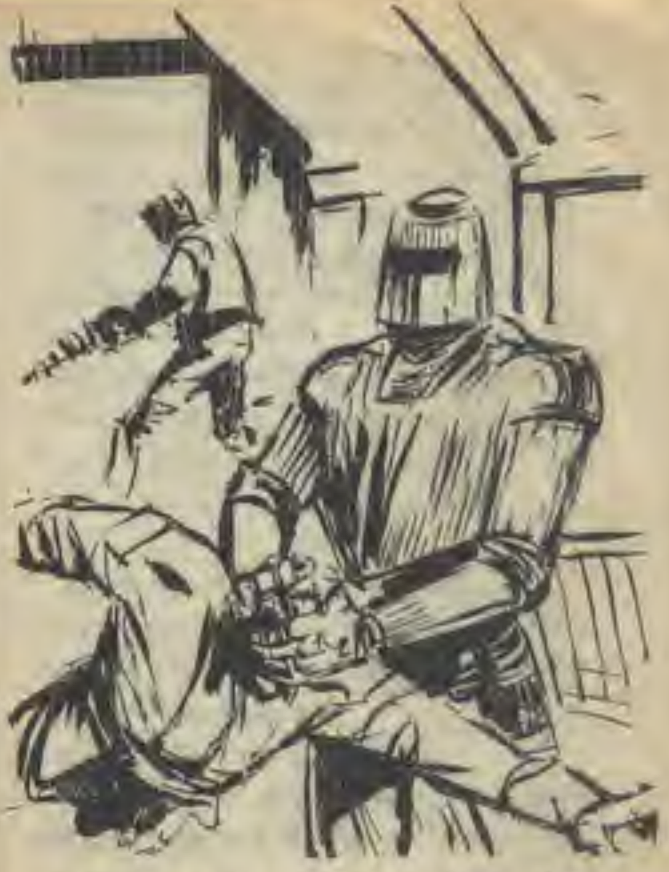

وقبل أن يتمّ عبارته ، لوى الآلى عنقه فى عنف ، وجحظت عينا الحارس ، مع الفرقعة العنيفة ، التى انطلقت من فقرات العنق ..

وفى رعب لا مثيل له ، تراجع الحارس المتبقى ، وهو يصرخ :

- لا .. لا .. الرحمة .

ثم أطلق لساقيه العنان ، وانطلق يعدو بكل سرعته وقوته ، نحو حجرة الأمن ، التى تحوى جهاز الإنذار الخاص ، ولكن الآلى تحرّك خلفه فى سرعة مدهشة ، ولحق به عند زر الإنذار ، فقفز الحارس نحو الزر ، صائحًا :

- الرحمة .. الرحمة .

وضغط سبّابته زر الإنذار ، فى نفس اللحظة التى جذبه فيها الآلى من شعره فى قوة وقسوة ، ثم ضمّ قبضته اليسرى ، ولوّح بها فى وجهه ، فاختلط صوت الحارس بصفارة الإنذار ، وهو يصرخ :

- لا .. لا تقتلنى .. أرجوك .

ولكن القبضة الآلية الرهيبة هوت على جمجمته ، وشجّتها فى عنف ، وتفجّرت منها الدماء فى قوة ..

وفى هدوء آلى بارد ، ألقى الآلى جثة الحارس الثالث ، وتجاوزها فى لامبالاة عجيبة ، على الرغم من صوت الإنذار ، الذى يدوى فى المكان ، واتجه نحو المخزن ، وانتزع رتاجه الإليكترونى بجذبة واحدة من موضعه ، ثم دفع بابه ، ووقف يطلّ على المخزون الإليكترونى الحديث ، وعلى شاشة الرؤية داخله ،

تراصت مجموعة جديدة من تعليمات التشغيل ، التى اعتاد طاعتها دون مناقشة ..

تعليمات تصف ما ينبغى عليه أن يفعله ..

وما تنبغى سرقته من مخزون الإلكترونيات ..

ومن الثروة ..

ثروة (مصر) الحديثة .

* * *

٢ ـ استدعاء ..

أطلقت (نشوى) ، ابنة (نور) ، و(سلوى) ضحكة مرحة عذبة ، وهى تصب بعضًا من عصير الفاكهة الطازج فى كوبها ، وتهتف :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا (محمود) .. كم يسعدنى أن شفيت بسرعة من إصاباتك السابقة .. لقد كنت بطلًا بالفعل .(*)

تضرّج وجه (محمود) بحمرة الخجل ، وعدّل منظاره الطبى فوق أنفه ، وهو يقول فى حرج :

ـ ليس إلى هذا الحد .

قال (نور) بابتسامة هادئة :

ـ ولكن هذا صحيح بالفعل يا صديقى .. لقد كنت هذه المرة قويًا ، جسورًا ، جريئًا ، وهذه هى صفات البطولة الحقة ، لو أضفنا إليها الإيمان ، والعمل للخير وحده .

ازداد تورّد وجه (محمود) ، وهو يتمتم :

ـ فى هذه الحالة تستحق أنت لقب (بطل الأبطال) يا (نور) .

اندفع (رمزى) يقول :

(*) راجع قصة (الإمبراطور) .. المغامرة رقم (٧٦) .

- هذا صحيح ، وكذلك (أكرم) ، الذى ..

بتر عبارته بغتة فى حرج ، وهو يتطلع فى ارتباك إلى (مشيرة) ، التى قفز الحزن الى وجهها ، فور سماعها اسم (أكرم) ، وأشاحت بوجهها فى مرارة ، فقال (رمزى) :

- معذرة .. لم أكن ...

مرة أخرى لم يستطع إكمال عبارته ، وران على المكان صمت ثقيل ، يهدد بإفساد الموقف كله ، لولا أن أسرع (نور) يسأل (مشيرة) فى هدوء :

- كيف حال (أكرم) الآن يا (مشيرة) ؟

تنهدت فى حرارة ، قبل أن تجيب :

- ما يزال غارقًا فى غيبوبة عميقة ، لا يعتقد معظم الأطباء أنه سيغادرها أبدًا .

قال (رمزى) فى سرعة :

- لا أحد يمكنه قول هذا ، فحالات الغيبوبة المماثلة لا قواعد ثابتة لها ، فالمصاب بها قد يقضى نصف عمره فى غيبوبة عميقة ، ثم يستيقظ فجأة ، ويستعيد حيويته كلها .

قالت (سلوى) فى حماس :

- هذا صحيح .. لقد قرأت عن حالة مماثلة ، فى مقال طبى قديما .

أومأت (مشيرة) برأسها ، وقالت :

- أنا أيضًا قرأت ذلك المقال .

فتح (رمزى) فمه ، وهم بقول شىء ما ، لولا أن خفتت أضواء ردهة منزل (نور) لحظة ، ثم عادت تتألق من جديد ، فقال (محمود) :

- يبدو أنه يوجد خلل ما ، فى جهاز الإنارة .

ولكن (نور) هبَّ من مقعده ، وتألقت عيناه على نحو عجيب ، وهو يقول :

- بالتأكيد .. يوجد خلل ما ، يحتاج إلى التحرك فى سرعة .

ثم اندفع نحو باب المنزل مستطردًا :

- معذرة يا رفاق .. أنا مضطر للانصراف .. لا تدعوا هذا يقلقكم .. انه منزلكم .

تابعوه فى دهشة ، وهو يعبر حديقة المنزل الصغيرة فى خطوات أقرب إلى الركض ، ثم يقفز داخل سيارته الصاروخية ، وينطلق بها مسرعًا ، فهتف (رمزى) :

- رباه !!.. أيعنى هذا أن خفوت الأضواء ..

قاطعته (سلوى) بابتسامة ذات مغزى خاص ، وهى تكمل عبارته :

- هى الإشارة الخاصة باستدعاء (نور) ، إلى ادارة

المخابرات العلمية .. تماما مثل الأيام الخوالى يا رفاق ..

وتألقت عيناها وهى تستطرد :

ـ أيام الفريق .

وكان لعبارتها فى أعماقهم وقع قوى ..

وعظيم ..

* * *

نفس الشعور كانت تفيض به أعماق (نور) ، وهو ينطلق بسيارته لتلبية ذلك النداء ..

الشعور بأن كل شىء قد عاد إلى سابق عهده ..

لقد ولت أيام الغزو ، وانتهى أثرها ..

انتهى إلى الأبد ..

وفى حماس ، ضغط زر الكمبيوتر الصغير ، الملحق بالسيارة ، وقرأ على شاشته التعليمات الجديدة ..

كان عليه أن يتجه على الفور إلى مخزن الإليكترونيات الرئيسى ..

ولقد فعل ..

ولم تمض دقائق خمس ، حتى كان قد قطع (القاهرة الجديدة) كلها ، عبر الطريق الدائرى الخاص ، وبلغ المخزن ..

وهناك كانت الصورة أكثر وضوحًا ..

أكثر من عشر سيارات ، تحمل كلها شعار الشرطة ، كانت تقف أمام المبنى ، مع سيارة إسعاف حديثة ، وسيارة تحمل اسم إدارة الأبحاث الخاصة ، التابعة للمخابرات العلمية ..

وأوقف (نور) سيارته أمام المبنى ، وسط حشد السيارات الأخرى ، وقفز منها مبرزًا بطاقته الخاصة ، حتى رأى أمامه الدكتور (ناظم) ، مدير إدارة الأبحاث ، الذى استقبله بوجه شاحب مضطرب ، وهو يقول :

ـ يسعدنى أنك وصلت بسرعة يا (نور) .. يبدو أننا نواجه شيئًا مخيفًا ، من تلك الأشياء التى اعتدت أنت مواجهتها .

سأله (نور) فى قلق :

ـ أى شىء مخيف هذا ياسيدى ؟

أجابه الرجل ، وهو يجفف جبهته بمنديله فى توتر :

ـ أنت تعلم أننا نسعى جاهدين ، منذ انتهى الاحتلال ، إلى استعادة قدراتنا وكفاءتنا العلمية ، بعد أن حطم الغزاة كل آثار الحضارة فى العالم(*) ، وهذا ليس بالأمر الهين أو اليسير ، وفى سبيل بلوغ هذا ، انخرطت دول العالم كلها فى سباق رهيب ، على الرغم من ضعف الإمكانات الشديد ، فى العالم الجديد ..

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

وعندما بدأنا فى إنتاج الإلكترونيات من جديد ، لم تكن كميتها تكفى لطرحها للبيع للجميع ؛ لذا فقد صدر ذلك القانون ، بقصر استخدام الإليكترونيات على العلماء والمستشفيات وإدارات الخدمات العامة ، وأجهزة الأمن ، حتى يتم التوسع فى إنتاجها ، ويفيد بها الشعب كله فيما بعد .. ولكن يبدو أن أحدهم كان يخالفنا هذا الرأى ، فاقتحم المخزن ، وسرق بعض القطع الإليكترونية شديدة الندرة .

قال (نور) فى اهتمام :

- بعض ؟!.. أتعنى أنه لم يسرق محتويات المخزن كلها ؟

هز الدكتور (ناظم) رأسه نفيًا ، وقال :

- بل انتقى بعضها فحسب ، ومن أقسام مختلفة ، وكأنما يسعى لصنع شىء ما بالتحديد ..

بدا الاهتمام أكثر على وجه (نور) ، وهو يقول :

- ولكن لماذا لم يحاول حرّاس المخزن منعه ؟.. أعلم أنهم ثلاثة فحسب ، ولكنهم يمتلكون أسلحة كافية ، لصد أى هجوم مسلح .

زفر الدكتور (ناظم) فى توتر ، وقال :

- لقد حاولوا .

سرت قشعريرة فى جسد (نور) ، مع تلك اللهجة التى نطق بها الدكتور (ناظم) كلمته ، وقال فى توتر :

- وماذا أصابهم ؟

مط الدكتور (ناظم) شفتيه ، وهو يهز رأسه فى أسى ، فغمغم (نور) :

- لقد فهمت .

عاد الدكتور (ناظم) يهز رأسه ، قائلًا :

- لا .. لم تفهم ياولدى . إنه لم يقتلهم فحسب .. لقد حطّم أعناقهم على نحو بشع ، كما لو كان يستخدم كلابتين من الفولاذ لذلك .

هتف (نور) :

- يا إلهى !.. إلى هذا الحد !

قاده الدكتور (ناظم) إلى الداخل ، وصوت بوق سيارة الإسعاف ينطلق ، وهى تبتعد عن المبنى ، والدكتور (ناظم) يقول :

- لقد استدعينا الدكتور (محمد حجازى) من منزله ، وها هى ذى سيارة الإسعاف تنقل إليه جثث الرجال الثلاثة ، ليخبرنا ما أصابهم بالتحديد ، وكيف قتلهم ذلك الآلى .

انتفض جسد (نور) ، وهو يهتف :

- آلى ؟!

التفت إليه الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

- ألم أخبرك بهذا ؟

قال (نور) فى توتر :

- كلا ياسيدى .. إنك لم تخبرنى هذا قط .

هز الرجل رأسه ، مغمغماً :

- كيف نسيت هذا ؟

ثم أشار إلى شاشة الراصد ، وهو يقول :

- من حسن الحظ أن نظم الأمن تحتم الاحتفاظ بشريط مسجّل ، لكل ما تلتقطه هذه الشاشة .. فمنها عرفنا طبيعة المهاجم ، وقوته العجيبة ، و ...

هتف (نور) :

- قوته العجيبة ؟!.. يبدو أنه هناك الكثير ، مما لم تبلغنى به يادكتور (ناظم) .

أومأ الرجل برأسه فى توتر ، وهو يقول :

- نعم .. يبدو هذا ، ولكن الأفضل أن تشاهد معى ما سجلته شاشة الراصد .

ضغط أزرار التشغيل ، وجلس إلى جوار (نور) ، يشاهدان الشريط المسجّل فى صمت وانتباه كاملين ..

وراح قلب (نور) يخفق فى عنف ، وهو يتابع ما يحدث .. كان من الواضح أن هذا الآلى خارق للمألوف .. ورهيب ..

ومن المؤسف أن شاشة الراصد لم تنقل سوى أحداث مصرع الحارس الأوّل فحسب ، مما جعل المعلومات محدودة ، لا تشير إلا إلى قوة الآلى وقسوته فحسب ، وتابع (نور) كل هذا مرتين متتاليتين ، قبل أن يسأله الدكتور (ناظم) فى صوت خافت مختنق :

- هل كوّنت فكرة واضحة ؟

هزّ (نور) رأسه نفياً ، وقال :

- ليس بصورة كاملة .

ثم نهض مستطرداً :

- ينبغى أن يشاهد الفريق كله هذا الشريط معى .

لوّح الدكتور (ناظم) بكفه ، قائلاً :

- فليكن .. أنا أيضاً أفضل هذا .

قال (نور) ، وهو يلتقط شريط التسجيل الصغير ، ويدسّه فى جيب سترته :

- هل كوّنتم أنتم فى الإدارة فكرة واضحة ، عن الجهة التى ينتمى إليها هذا الآلى الرهيب ؟

أجابه (ناظم) فى توتر :

- ليس بعد ، ولكن الانطباع الأولى مخيف للغاية .

سأله (نور) فى اهتمام :

- وما هو ؟!

تطلع الرجل إلى عينيه لحظات ، ثم قال بصوت مرتجف :

- هو أننا نواجه جاسوسًا آليًا .

هتف (نور) :

- جاسوس ؟!

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وقال :

- كل شىء يشير إلى هذا .. هجومه على مخزن الإليكترونيات ، وقدراته العجيبة ، ووجوده فى حد ذاته .. كل هذا يشير إلى جهة تمتلك معرفة تكنولوجية ، جيّدة ، وإمكانات لا قبل بها إلا للدول ، وليس للأفراد .

ثم ربّت على كتف (نور) ، مستطردًا :

- صدقنى يا ولدى ، حادث الهجوم على مخزن الإليكترونيات ، إنما يعنى بداية حرب من نوع جديد .. حرب السيطرة على مصادر القوة ، والبحث عن وسائل جديدة للنمو ، وتدمير قدرات الدول الأخرى فى هذا المجال .. إنها حرب التكنولوجيا يا فتى .. وفى العالم الجديد ستكون هذه حربًا بلا هوادة .

وارتجف صوته ، وهو يستطرد :

- وبلا رحمة .

٣ - البحث ..

«جاسوس آلى ؟!..»

نطقت (سلوى) العبارة فى دهشة شديدة ، وهى تحدق فى وجه (نور) ، قبل أن تستطرد :

- وهل بدأت أعمال التجسس العلمى ، فى العالم الجديد ؟

قال (نور) فى حسم :

- إنه ليس رأيى يا (سلوى) ، وإنما هو رأى الدكتور (ناظم) .

سأله (محمود) :

- وهل تشاركه هذا الرأى ؟

هز (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- مطلقًا .

هتفت (نشوى) :

- ولكننا شاهدنا ذلك الشريط معك يا أبى ، وما رأيناه يعد أمرًا خارقًا للغاية بالفعل .. أرأيت كيف اختفى ذلك الآلى وسط الأطلال ؟!.. ليس من المنطقى أن يصنع شخص ، مهما بلغ من العبقرية والذكاء ، رجلًا آليًا كهذا ، مع النقص الشديد فى الإليكترونيات .. هذا عمل دولة .

غمغم (رمزى) بصوت متوتر :

- أو غزاة من الفضاء .

شهقت (سلوى) للعبارة ، وتراجعت (نشوى) فى انزعاج ، فى حين عقد (محمود) حاجبيه فى شدة ، وتطلع (نور) الى (رمزى) فى هدوء ، وهو يقول فى بساطة :

- هذا احتمال وارد .

صاحت (نشوى) :

- لا .. لن أحتمل هذا مرة ثانية .

تطلع اليها (نور) لحظة ، قبل أن يقول :

- قلت إنه مجرد احتمال .

ثم اعتدل مستطردا فى حزم :

- ومع كل الاحتمالات ، يمكننى أن أجزم بأن هذا ليس عملا من أعمال التجسس العلمى حتما .

سأله (رمزى) :

- ولما تجزم بهذا ؟

أجابه (رمزى) :

- واقع الحادث نفسه هو الذى يفرض هذا ، فذلك الآلى لم يسرق من المخزن سوى ما يحتاج إليه فحسب ، على الرغم من قتله ثلاثة من الحراس ، ولم يحاول سرقة الجزء المتبقى ، أو تدميره ، وهذا لا يتفق مع الجاسوسية العلمية .

هتف (محمود) ، متحمسا لرأى (نور) :

- هذا صحيح ، فلو أن هذا الجاسوس الآلى ينتمى لدولة أخرى ، لسرق محتويات المخزن كلها ، أو دمرها عن آخرها ، حتى يحرمنا خطوة ضخمة فى طريق الحضارة والتطور .

كان الرأى مقنعا للغاية ، فقالت (نشوى) :

- من صنعه إذن ؟

أجابها (نور) :

- التوصل إلى هذا يحتاج إلى دراسة شريط التسجيل مرة أخرى ، لمعرفة قدرات الآلى الحقيقية ، وكيفية استخدامه لقوته .

قال (رمزى) :

- لا بأس يا (نور) .. سنشاهد الشريط مرة أخرى ، فقد يوصلنا هذا إلى حقيقة الآلى ، لنعلم ما إذا كان صنيعة أرضية ، أم ..

صمت لحظة ، ثم أردف مرتجفا :

- أو طليعة غزو جديد .

وانتفضت القلوب ..

* * *

لم يكن أذان الفجر قد انطلق بعد ، عندما تثاءبت (مشيرة) فى إرهاق ، وقالت لمدير شبكة الفيديو ، فى مبنى الصحيفة المرئية ، وهى تدعك عينيها فى تهالك :

- أظن أن شبكة البث قد اكتملت هكذا ، ويمكننا البدء فى تقديم مقالات ومواضيع الصحيفة إلى المشاهدين ، اعتبارًا من اليوم .

وافقها المدير بإيماءة من رأسه ، وقال :

- سنبدأ البث التجريبى بعد أربع ساعات بالتحديد .

هتفت متهالكة :

- يا إلهى !.. ستبدو عيناى منتفختين .

أطلق ضحكة قصيرة ، وقال :

- إنك تبدين رائعة فى كل الأحوال .

أنعشتها العبارة ، على الرغم من إرهاقها ، فاعتدلت قائلة :

- حقًا ؟

ثم انتابها الخجل ، فاستدركت فى سرعة :

- أعنى أننى أعلم هذا بالتأكيد .

أطلق الرجل ضحكة أخرى ، وقال :

- أنت تعلمين كل شىء ، حتى الـ...

قاطعته فجأة صيحة انطلقت من جهاز اتصال داخلى ، تحمل صوت حارس أمن المبنى ، وهو يصرخ :

- هجوم على المبنى .. النجدة .

قفزت (مشيرة) من مقعدها ، هاتفة فى ذهول :

- هجوم ؟!

ثم ضغطت زر تشغيل شاشة الأمن ، وتراجعت كالمصعوقة ..

لقد نقلت إليها الشاشة صورة شخص آلى ، يقتحم مدخل المبنى فى برود مخيف ، ويتجه نحو حارس الأمن ، الذى انتزع مسدسه ، وراح يصرخ فى وجه الآلى :

- قف .. قف وإلا أطلقت الأشعة عليك .

قالها وأردف قوله بالفعل ، فضغط زناد مسدسه ، وانطلقت الأشعة نحو صدر الآلى ، ثم ارتدت فى عنف ، فى نفس اللحظة التى طوّح فيها الآلى يده ، ولطم الحارس فى قوة رهيبة ، فانتزعت المسكين من مكانه ، وضربت به الحائط ، قبل أن يسقط فاقد الوعى ، فصرخت (مشيرة) ، التى رأت المشهد على الشاشة :

- يا إلهى !.. إنه يهاجمنا بحق .

تجمّد المدير فى مكانه ، وهو يقول ذاهلًا :

- مستحيل !.. إنه آلى .. مجرّد آلى .

صرخت (مشيرة) ، وهى تقفز نحو هاتف الفيديو :

- إنه فى طريقه إلى هنا .. سيقتحم الحجرة بعد لحظة واحدة ..

حاولت أن تضغط أزرار رقم هاتف (نور) ، ولكن الآلى اقتحم الحجرة ، مسقطًا بابها فى عنف ، فأطلقت صرخة أخرى ، والتصقت بالحائط ، فى حين صاح المدير فى ذعر :

ـ ماذا تفعل هنا ؟.. ابتعد .. ابتعد .

ولكن الآلى ضربه بكفه ضربة رهيبة ، تفجّرت لها الدماء من فكه ، وارتطم بمقعد مكتبه ، وسقط معه أرضًا فى دوى شديد ، فى حين استدار الآلى إلى (مشيرة) ، واتجه نحوها مباشرة ، بخطواته الثقيلة المخيفة ، فصرخت فى شدة ..

أطلقت صرخة ، وثانية ، وثالثة ..

ثم تجمّدت الصرخة الرابعة فى حلقها ، وهى تحدق فى عينى الآلى ..

وفى بطء مخيف ، رفع الآلى أصابعه المعدنية ، ومدها نحو عنقها ، فاختنق صوتها وهى تقول :

ـ لا .. لا تفعل هذا .. لا .

ثم انطلقت تلك الصرخة الحبيسة فى صدرها ، عندما لامست أصابعه المعدنية الباردة عنقها ، وهوت ..

هوت فاقدة الوعى ، عند قدمى الآلى ..

وتوقّف عندها الزمن ..

* * *

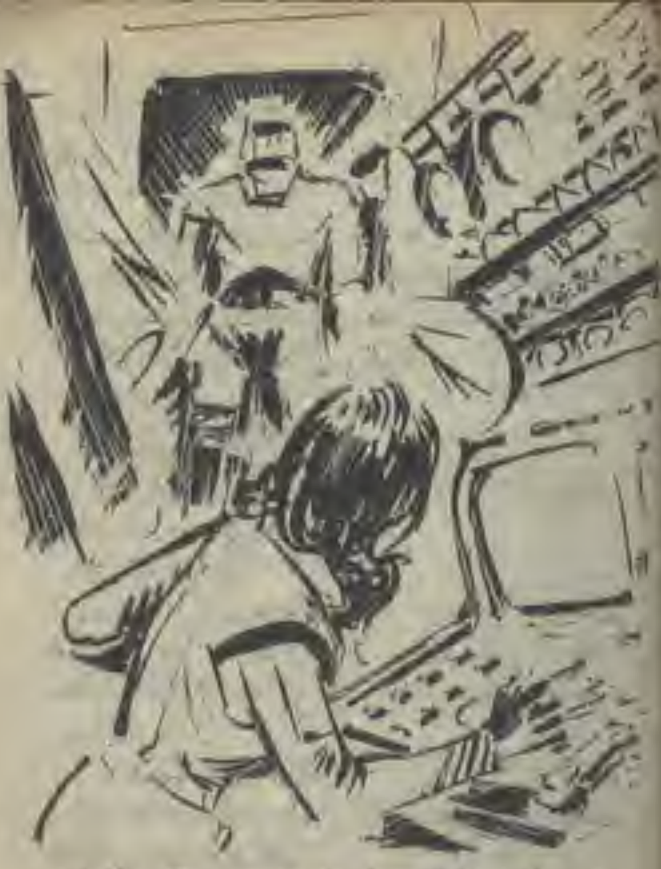

حاولت أن تضغط أزرار رقم هاتف (نور) ، ولكن الآلى اقتحم الحجرة ، مسقطًا بابها فى عنف .

التقى حاجبا (نشوى) ، وهى تسند كفيها على منضدة الكمبيوتر ، وتريح رأسها فوقهما ، مغمغمة فى مزيج من الحيرة والتوتر والإجهاد :

- يا له من شىء عجيب !

تثاءب (محمود) فى إرهاق ، وهو يقول :

- هذا الآلى يمتلك خاصية عجيبة .. أرأيتم كيف اختفى تمامًا ، بعد مصرع الحارس ، وكيف كان مختفيًا وسط الأطلال ؟

اعتدل (نور) فى مقعده ، وهو يقول :

- إنه لم يختف .

قالت (سلوى) محتجّة :

- كيف تقول هذا يا (نور) ؟.. لقد رأيت كيف ظهر فجأة ، وباغت الحارس بهجوم غير متوقّع .

أشار (نور) بسبابته ، قائلًا :

- ولكن جسده كان يلقى ظلًّا واضحًا ، عندما سقط عليه ضوء المصباح ، ولو أنه اختفى فعليًا لتجاوزه شعاع الضوء ، واخترقه ، دون أن يسقط أية ظلال واضحة ، أو غير واضحة .

سأله (رمزى) :

- ما تفسيرك لما رأيناه إذن ؟

رفع كفه ، وهم بإجابة السؤال ، عندما خفتت الأضواء بغتة ، فقفز من مقعده ، وهو يقول :

- لا .. ليس ثانية .

واندفع مغادرًا المكان كالصاروخ ، وقالت (سلوى) فى تعاطف ، بعد أن أغلق الباب خلفه :

- مسكين (نور) .. إنه لا ينعم بوقته أبدًا .

غمغم (رمزى) :

- إنها طبيعة عمله .

ثم أضاف فى اهتمام :

- وأظن أنه من الأفضل أن نقوم نحن أيضًا بعملنا ، ونحاول كشف سر هذا الآلى ، قبل عودة (نور) .

رفعت (نشوى) رأسها ، ولوّحت بكفها ، قائلة :

- وماذا يمكننا أن نفعل ؟

سألها (رمزى) :

- أخبرينى أولًا .. إلى أى مدى يمكنك تكبير صورة شريط التسجيل ؟

هزت كتفيها ، قائلة :

- إلى أى مدى تريد .. فقط انتخب الجزء الذى تريد تكبيره .

أشار إلى الشاشة ، وهو يقول :

- أريد تكبير جزء من الأطلال ، فى النقطة التى بدأ منها ذلك الظل ، الذى سقط على الجدار .

بدأت فى القيام بالعمل ، وهى تسأله :

- ما الذى تتوقّعه ؟

أجابها وهو يتابع عملية التكبير فى اهتمام :

- ظلال أخرى .

سألته (سلوى) فى حيرة :

- أية ظلال ؟

عاد يشير إلى الشاشة ، مجيبا :

- دعونا لا نسبق الأحداث .. سترون جميعا ما أقصده ، لو أن له وجودا .

انتظروا جميعا فى لهفة ، و(نشوى) تعمل على تكبير الجزء الذى اختاره (رمزى) ، إلى أكبر حد ممكن ، حتى سمعوها تهتف :

- يا إلهى !.. كنت على حق يا (رمزى) .

انحنى (رمزى) يتطلع إلى الشاشة فى اهتمام بالغ ، ثم اعتدل قائلا فى ارتياح :

- عظيم .

سألته (سلوى) فى حيرة :

- ما هذا العظيم ؟.. لست أفهم شيئا .

أسرعت (نشوى) تشير إلى ظل رأسى واضح ، ينبت من نفس النقطة ، التى نبت منها الظل الأصلى ، وهى تقول فى حماس :

- ألا ترين يا أماه ؟.. هذا الظل يعنى أن خصمنا ليس خفيًا .

وارتسمت على شفتى (رمزى) علامة ارتياح ، وهو يقول :

- ويعنى أيضا أننا كشفنا السر يا رفاق .

وتحولت هذه اللمحة إلى ابتسامة واضحة ، وهو يستطرد :

- سر الجاسوس الآلى ..

* * *

٤ - انهيار ..

امتزج الحنق بالأسى ، فى أعماق (نور) ، وهو يراقب رجال الإسعاف ، الذين حملوا حارس مبنى (أنغام الفيديو) ومديره ، وتنهد الدكتور (ناظم) إلى جواره ، وهو يقول فى أسف مرير :

- ذلك الآلى ازداد جرأة ، قبل مضى عشر ساعات على ضربته الأولى .. لقد اقتحم المبنى هذه المرة على نحو مباغت ، بعد أن أفسد أجهزة الأمن والإنذار بموجة كهرومغناطيسية عنيفة .

تمتم (نور) :

- ولكنه لم يقتل أحدا هذه المرة .

وافقه الدكتور (ناظم) ، قائلا :

- هذا صحيح ، ولكنه أصاب الحارس بارتجاج شديد فى المخ ، وحطم فك مدير الشبكة ، وأصيبت الصحفية (مشيرة محفوظ) بانهيار عصبى شديد .

سأله (نور) فى اهتمام :

- هل رأته (مشيرة) ؟

أجابه الرجل :

- لم يتم استجوابها بعد ، والطبيب يمنعنا من هذا ، ولكن الأرجح أنها رآته ، وإلا فما الذى أصابها بالانهيار ؟!

قال (نور) :

- ربما حاول قتلها .

هز الدكتور (ناظم) كتفيه ، وقال :

- لست أظن هذا ، فلو شاء قتلها لفعل .

سأله (نور) :

- وما الذى سرقه هذه المرة ؟

ضرب الدكتور (ناظم) كفًا بكف ، وهو يقول :

- هذا هو أغرب جزء ، فى القصة كلها .. لقد سرق ست لوائر تليفزيونية مغلقة ، وجهازى رؤية ليلية ، ومصباحًا للأشعة دون الحمراء .

التقى حاجبا (نور) ، وهو يقول :

- وترك الأشياء الأخرى .. أليس كذلك ؟

أومأ الدكتور (ناظم) برأسه إيجابًا ، وقال :

- بلى .. وهذا ما يثير حيرتنا فى شدة .

شرد بصر (نور) لحظات ، ثم قال فى حزم :

- إنه يزيد من تسليح جسده الآلى .

هتف الدكتور (ناظم) :

- يزيد ماذا ؟!

أجابه (نور) :

- يضاعف أسلحته يادكتور (ناظم) .. ألم تنتبه إلى أنه قد استخدم سلاح الشوشرة الإليكترونية هذه المرة ، فى حين لم يستخدمه فى المرة السابقة ؟.

سأله الرجل فى اضطراب :

- وما الذى يعنيه هذا ؟

أجابه (نور) فى حسم :

- لقد استخدم الإليكترونيات ، التى سرقها من المخزن ، فى صنع جهاز الشوشرة ، وربما يستخدم ما سرقه من هنا ، لتطوير أجهزة مراقبة ، أو سلاح جديد .. من يدرى ؟

قال الدكتور (ناظم) فى توتر :

- هذا يعنى أن قوته ستتضاعف ، مع كل جريمة يرتكبها ، وستأتى فترة نعجز فيها عن مواجهته .

قال (نور) فى ضيق :

- ليس إلى هذا الحد .

ثم اعتدل واستطرد :

- لقد أدركنا على الأقل ما يفعله ، فى الفترة الحالية ، ويمكننا

أن نستنتج ما يمكن أن يُقدم عليه ، فى العملية التالية ، لو أننا وضعنا أنفسنا فى موضعه .

تطلع إليه الدكتور (ناظم) فى دهشة ، وهو يقول :

- (نور) .. إنك تتحدث كما لو أن هذا الآلى يقود نفسه بنفسه .

قال (نور) :

- إنما كنت أقصد من يحركونه ياسيدى .. أنت تعلم أنه من المستحيل أن يقود أى شخص آلى نفسه على هذا النحو ، ويخطط الجرائم بهذه الدقة .

نطقها على الرغم من ذلك الاعتراض العنيف ، الذى تفجَّر فى أعماقه ..

اعتراض يطلق عقله ..

وقلبه ..

* * *

امتلأت نفس (سلوى) بتوتر لا مثيل له ، وهى تتطلع طويلا إلى شاشة الكمبيوتر ، قبل أن تقول فى عصبية :

- إذن فذلك الآلى لا يختفى ، كما كنا نتصوَّر ، وإلا ما ألقى الضوء ظلًا لقدمه نفسها ، على الجانب غير المعرَّض للضوء منها .. إنه موجود ، على الرغم من عجز الأعين عن رؤيته .. عجزًا !! .. كيف أمكنه هذا ؟

أجابتها (نشوى) :

- بخاصية المحاكاة .. إنه يمتلك القدرة على التشبه بالبيئة المحيطة به ، تمامًا كما تفعل (الحرباء)(*) ، ولكن بدقة أكبر ، يستحيل معها تفرقته عن الوسط المحيط به .

قال (محمود) فى توتر :

- هذا يرجِّح كونه مخلوقًا من كوكب آخر .

التقت نظرات (سلوى) و (نشوى) فى خوف ، قبل أن تقول (سلوى) :

- أو يمتلك سلاحًا حديثًا .

قال (رمزى) مستنكرًا :

- وكيف يمكنه امتلاك سلاح كهذا ، فى هذا الزمن ؟

قفز السؤال مخاوف للجميع مرة أخرى ، وبقى معلقًا فى فضاء الدهشة بلا جواب ..

أو راحة ..

* * *

هز الطبيب رأسه فى رفض ، وهو يلوِّح بسبابته فى وجه (نور) ، قائلا فى حزم :

(*) الحرباء : زاحفة صغيرة بطيئة الحركة ، تعيش على الأشجار فى (أفريقيا) وجنوب (آسيا) ، وتمتلك القدرة على تغيير لون جلدها بالمحاكاة للبيئة المحيطة بها ، تبعا لشعورها بالخطر ، وحدة الضوء ، ودرجة حرارة الوسط .

- لا أيها الرائد .. لا يمكننى السماح لك باستجواب (مشيرة) الآن .. المسكينة أصابتها صدمة عصبية عنيفة ، والاستجواب لن يناسبها الآن .

قال (نور) محاولًا إقناعه :

- إنه ليس استجوابًا فعليًا فى الواقع يا سيدى ، فـ(مشيرة) صديقة قديمة ، وكل ما أطلبه هو التحدث إليها قليلًا ، فهى الوحيدة التى رأت ذلك الآلى ، وبقيت على قيد الحياة ، وبحالة تسمح لها بوصفه ، وهذا الآلى يتحرك بسرعة كبيرة ، وينتقل من هدف إلى هدف دون تردد أو إبطاء ، والانتظار يفيده أكثر مما يفيدنا ، فقوته تتضاعف مع كل مرة .

قال الطبيب :

- إننى أقدّر كل هذا ، ولكن مسئوليتى كطبيب تحتم على الحفاظ على صحة (مشيرة) ، مهما كانت الأسباب .

قال (نور) فى غضب :

- وماذا عن الأرواح الأخرى ، التى قد يزهقها ذلك الآلى ، ما لم نوقفه قبل الضربة القادمة ؟

قال الطبيب فى عناد :

- هذا مجرد احتمال ، أما صحة (مشيرة) ، فهى أمر واقع .

هتف (نور) فى حدة :

- وماذا لو تجاوزت رأيك هذا ، والتقيت بـ(مشيرة) ؟

أجابه الطبيب غاضبًا :

- القانون يمنعك من فعل هذا أيها الرائد ، وأنا أحذرك ، فلو تجاوزت هذا الباب ، سأبلغ الـ....

قاطعه صوت (مشيرة) من خلفه ، وهى تقول :

- لا داعى يا سيادة الطبيب .. سأتحدث إلى (نور) .

تنهد (نور) ، وهو يقول :

- أشكرك .

أما الطبيب ، فاعترض قائلًا :

- لا يا (مشيرة) .. صحتك لا تسمح بـ...

قاطعته مرة أخرى فى عصبية :

- ولكن القانون يمنحنى حق الاختيار .. أليس كذلك ؟

انعقد حاجباه فى غضب ، وقال :

- بلى .

ثم اندفع منصرفًا فى عصبية ، فمرّرت (مشيرة) أصابعها فى شعرها بحركة متوترة ، وهى تقول :

- حسنًا يا (نور) .. ما الذى ترغب فى معرفته ؟

أجابها فى لهفة :

- كل شىء .. كل شىء يا (مشيرة) .

قالت فى عصبية :

ـ وما هذا الـ(كل شىء) ؟.. لقد هاجمنا ذلك الشخص ، وأصاب الحارس والمدير ، وفقدت أنا الوعى أمامه ، عندما حاول خنقى بهذه الأصابع المعدنية الباردة المخيفة .. هذا كل ما يمكننى منحك إياه .

قدّر حالتها النفسية ، وهو يتجاوز عصبيتها ، ويسألها فى هدوء :

ـ ولكنك رأيته يا (مشيرة) .. أليس كذلك ؟

مرّرت أصابعها مرة أخرى فى شعرها ، بمزيد من العصبية والتوتر ، وهى تقول :

ـ قلت لك : إنه حاول قتلى .

قال فى اهتمام :

ـ صفيه لى إذن .

تطلّعت إليه لحظة فى توتر ، ثم قالت :

ـ لقد نقلت شاشة الأمن صورته بالتأكيد ، ويمكنك الرجوع إليها ، فهذا أفضل .

قال فى صبر :

ـ ولكنك رأيته عن قرب ، ويمكنك أن تضيفى إلى معلوماتنا ما قد يفيد ، فأنت تتميّزين بدقة الملاحظة وسرعة البديهة .

تجمّعت فى عينيها دمعة كبيرة ، وهى تتطلّع إليه فى صمت ، ثم لم تلبث أن قالت فى صوت متحشرج مختنق :

ـ ما الذى تنتظر معرفته بالضبط ؟

قال :

ـ هذا يتوقّف على ما لديك .

انهمرت تلك الدمعة الكبيرة من عينيها ، وتبعتها دموع أخرى غزيرة ، وهى تقول :

ـ لا يا (نور) .. لن تجد عندى أبدًا ما يفيدك .

ثم انفجرت فجأة :

ـ اتركنى يا (نور) .. اتركنى أرجوك .

وتحوّل بكاؤها إلى شلال متدفّق من الدموع ، أغرق وجهها كله ، وهى تواصل صراخها :

ـ اتركنى يا (نور) .. أرجوك .

تراجع (نور) فى دهشة ، فى حين عاد الطبيب مسرعًا ، على صوت صرخات (مشيرة) ، وهو يهتف :

ـ ألم أحذّرك يا فتى ؟.

تجمّد (نور) فى مكانه ، وهو يراقب (مشيرة) فى حيرة ، فى حين أسرع الطبيب يحقنها بمادة مهدئة ، وهو يستطرد غاضبًا :

ـ هذا دأبكم يا رجال الأمن .. لا يشغلكم سوى ربح قضاياكم ، حتى ولو ضحيتم بنصف العالم من أجل هذا .

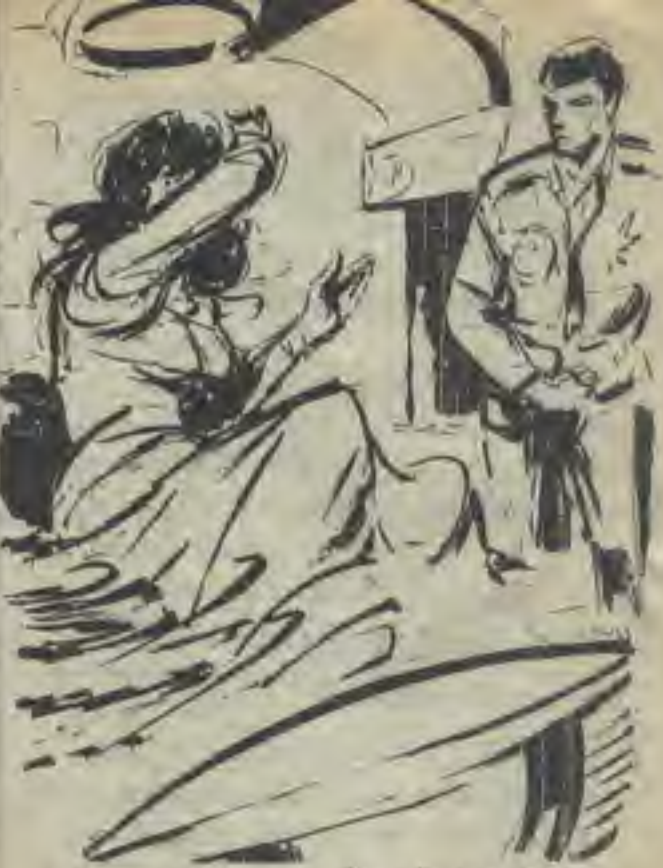

وتحوَّل بكاؤها إلى شلال متدفق من الدموع ، أغرق وجهها كله ، وهى تواصل صراخها : — اتركنى يا (نور) .. أرجوك ..

قال (نور) فى حيرة :

ـ ولكنها كانت تتحدث على نحو عادى ، حتى ...

قاطعه الطبيب فى حدة :

ـ أخبرتك من قبل أنها تعانى من انهيار عصبى .. لماذا لا يمكنك أن تفهم هذا ؟!

لم يجادله (نور) هذه المرة ، ووقف صامتًا ، يراقب (مشيرة) ، التى انخرطت فى بكاء حار ، وهى تشيح بوجهها عنه ، وكأنها تخشى التطلع إليه ..

وفى أعماقه شعر أن الطبيب على خطأ ..

هذا الذى أصاب (مشيرة) ليس مجرَّد انهيار عصبى عادى ..

إنه أمر آخر ..

لقد رأت (مشيرة) شيئًا ما ، وتحاول أن تخفيه فى أعماقها ..

وهذا الشىء بالغ الخطورة ..

وبالغ الدقة ..

وأنبأته غريزته أن ما تخفيه (مشيرة) قد يكون أول الخيط ، فى طريق كشف اللغز ..

لغز الجاسوس الآلى .

* * *

٥ - كل الحيرة ..

لم يكد (نور) يصل إلى منزله ، فى الدقائق الأولى من الصباح ، حتى استقبلته ابنته (نشوى) فى لهفة ، وهى تهتف :

- أبى .. لقد توصلنا إلى سر اختفاء ذلك الآلى .

قال فى هدوء ، وهو يستقر فوق أحد مقاعد الردهة :

- أتقصدين قدرته على محاكاة البيئة المحيطة ؟

تطلعت إليه (نشوى) فى دهشة ، فى حين قالت (سلوى) :

- هل استنتجت هذا ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

- كان هذا هو التفسير المنطقى الوحيد .

سأله (رمزى) فى قلق :

- لقد ضرب ضربة ثانية .. أليس كذلك ؟

أجابه (نور) فى ضيق :

- بلى .. هاجم شركة (أنباء الفيديو) ، وكاد يقتل (مشيرة) .

شهقت (سلوى) ، وهتفت :

- يقتل (مشيرة) ؟!.. يا إلهى .. ما الذى يفعله ذلك الآلى بالضبط ؟

اعتدل (نور) فى مقعده ، وقال :

- إنه ما يزال فى مرحلة الإعداد يا (سلوى) .. وأقصد بهذا إعداد قدراته القتالية ، على النحو الذى يضمن له التفوق ، فى هذا العالم الجديد ..

هتفت (نشوى) :

- لماذا ؟

هز رأسه ، مجيبًا :

- لا أحد يمكنه الجزم بهدفه الفعلى بعد ، ولكنه يزداد قوة وخطورة فى كل مرة .. إنه الآن يمتلك قوة جسدية خارقة ، ومناعة ضد أشعة الليزر ، وقدرة هائلة على التخفى ومحاكاة البيئة ، ويمكنه الشوشرة على أجهزة الكشف والإنذار ، كما أصبح بضربته الأخيرة قادرًا على الرؤية فى الظلام الدامس ، ونقل ما يراه إلى جهة ما ، وبضربة أو ضربتين إضافيتين ، سيصبح نموذجًا حديثًا للمقاتل الآلى .

قال (محمود) فى توتر :

- إنه لم يبلغ بعد قوة (س - ١٨) .

أجابه (نور) :

ـ ولكن ما يلفه يكفى للتفوق .. أضف إلى هذا أنه هو الذى يحدد مكان وموعد كل ضربة ، وليس أمامنا سوى إحصاء ما تركه خلفه من إصابات وتلفيات .

قال (رمزى) فى ضيق :

ـ ألا توجد وسيلة واحدة ، لمنعه من هذا ؟

صمت (نور) لحظات ، وهو يسترجع تفاصيل حديثه مع (مشيرة) ، ثم قال :

ـ أعتقد أنه هناك شىء ما ، يمكن أن يقودنا إليه ، ولكن هذا الشىء يختفى فى أعماق (مشيرة) .

بدت الدهشة على وجه الجميع ، وقال (محمود) :

ـ ما الذى تقصده بالضبط يا (نور) ؟

شرح لهم (نور) كل ما لديه ، وقص عليهم موقف (مشيرة) العجيب ، واستمعوا إليه فى انتباه كامل ، ثم قال (رمزى) :

ـ لو أن الصورة التى نقلتها كاملة يا (نور) ، فهذا يعنى بالفعل أن (مشيرة) تخفى شيئًا ما .

قال (نور) :

ـ كان هذا واضحًا ، فهناك أمر ما ، ترفض (مشيرة) الإفصاح عنه ، وليس هذا الأمر وحده ما يقلقنى ، ولكننى أتساءل .. لماذا تخفيه (مشيرة) ؟.

قال (محمود) فى اهتمام :

ـ هذا هو السؤال .

تثاءبت (نشوى) فى قوة ، ودعكت عينيها ، قائلة :

ـ أعتقد أننى لن أستطيع التفكير على نحو جيِّد ، فلقد تثاقلت أجفانى فى شدة ، وأحتاج إلى قسط من النوم .

غمغم (محمود) :

ـ أشاركك هذا الشعور .

وتنهد (نور) ، قبل أن يقول :

ـ هذا أمر طبيعى ، فلقد قضينا الليل كله ساهرين ، ولكننى أعتقد أن النوم سيعجز عن زيارة عقلى ، ما دام هذا السؤال يتردد فى أعماقى .

سألته (سلوى) :

ـ أى سؤال ؟

شرد ببصره لحظات ، قبل أن يقول :

ـ أين يمكن أن يضرب ذلك الآلى ضربته التالية ؟..

نعم يا (نور) .. هذا هو السؤال ..

أين ستأتى الضربة القادمة ؟..

أين ؟..

* * *

تراصت قائمة بأسماء الأماكن المقترحة للهجوم التالى ، على شاشة الكمبيوتر الخاص بالقائد الأعلى ، للمخابرات العلمية المصرية ، وطالعها القائد فى اهتمام كامل ، قبل أن يقول للدكتور (ناظم) :

- أهذه كل الأماكن الممكنة ؟!

أجابه الدكتور (ناظم) ، وهو يقاوم ذلك الشعور العنيف بالإرهاق ، الذى يحيط بعقله :

- هذا ما استقرت عليه آراء الخبراء ، وما استنتجه الكمبيوتر يا سيدى ، فمن الواضح أن من صنع الآلى يسعى لمنحه كل ما يمكنه من قوة ، ومن مزايا تكنولوجية حديثة ، ولقد منحه الكثير حتى الآن بالفعل ، وسيحتاج إلى بعض الأسلحة ، إلى جوار هذا ، ومن الطبيعى إذن أن تكون الأهداف القادمة هى مخازن وزارة الدفاع ، ومصنع الأسلحة الجديد ، أو إدارة المخابرات هنا .. هذه وحدها الأماكن ، التى يمكن أن يسعى إليها صانعو ذلك الآلى .

عاد القائد الأعلى يطالع القائمة ، ثم سأل :

- وما رأى (نور) ؟

أجابه الدكتور (ناظم) :

- لم يكتب تقريره بعد ، ولست أظنه قادرا على هذا الآن ، فقد قضى ليلته فى توتر كامل مثلى .

ابتسم القائد الأعلى ، وقال :

- من الواضح أنك لا تعرف (نور) جيدا ، ولا تقدره حق قدره .. هذا الفتى أروع مما تتصور ، وعقله لا يهدأ أبدا ، ولا يمكنه أن يهدأ ، ما دام هناك أمر ما يشغله .

قال الدكتور (ناظم) فى ثقة :

- ولكن النوم سلطان كما يقولون ، ومن العسير أن يقاوم أى شخص عادى ، أو حتى شخص من طراز هذا الـ ...

قاطعه أزيز خافت ، انطلق من جزء خاص ، فى مكتب القائد الأعلى ، الذى التفت فى اهتمام كبير إلى شاشة صغيرة أمامه ، ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة هادئة ، جعلت الدكتور (ناظم) يسأله :

- ماذا لدينا ؟

أجابه القائد الأعلى مبتسمًا :

- إنه (نور) .. من الواضح أنه هزم سلطان النوم .

ثم ضغط واحدا من الأزرار العديدة ، التى تحتل ركنا من مكتبه ، فانفتح باب حجرته ، وظهر على عتبته (نور) ، الذى خطا إلى الداخل فى نشاط واضح ، وهو يرفع يده بالتحية العسكرية الرسمية ، قائلاً :

- الرائد (نور الدين محمود) ، فى خدمتك ياسيّدى .

قال القائد الأعلى فى هدوء :

- إجلس أيها الرائد .. كنا نتحدث عنك .

جلس (نور) ، وهو يقول :

- لقد توصلنا إلى سر قدرة ذلك الآلى على التخفى يا سيّدى .. إنه يمتلك قدرة خاصة على محاكاة البيئة المحيطة به ، إلى حد يبدو معه وكأنه قد اختفى .

امتقع وجه الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :

- محاكاة البيئة ؟!.. يا إلهى !.. إنه مشروع الدفاع الجديد يا سيّدى القائد .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول :

- مشروع الدفاع الجديد ؟!.. أى مشروع هذا يا سيّدى .

أجابه القائد الأعلى :

- إنه مشروع جديد أيها الرائد .. كنا نحيطه بأعلى قدر من السرية ، فى إدارة الأبحاث ، وهو عبارة عن زى عسكرى جديد ، يصلح لرجال الصاعقة والقوات الخاصة ، تم تصنيعه بأسلوب وتقنية جديدين ، بحيث يحيط به غلاف مزدوج رقيق ، من الألياف الزجاجية ، يرتبط بخزان خاص ، وجهاز (ميكروكمبيوتر) ، صغير الحجم للغاية ، يعمل على تحليل البيئة المحيطة ، وتحديد طبيعتها وألوانها بمنتهى الدقة ، ثم يدفع عددًا من السوائل ، عبر

شبكات ميكروسكوبية ، تنتشر فى الغلاف المصنوع من الألياف الزجاجية ، بترتيب لونى خاص ، بحيث يحاكى تمامًا شكل البيئة المحيطة به ، ويخفض درجة الحرارة الخارجية فى الوقت ذاته ، أو يرفعها ، لتتساوى مع درجة البيئة المحيطة ، فتعجز كل أجهزة الرصد عن كشف من يرتدى هذا الزى ، حتى أجهزة الفحص الحرارى .

قال (نور) فى قلق :

- إذن فقد حصل شخص ما على هذا السر ، واستولى على تصميمات المشروع ، واستغلها فى صنع ذلك الآلى .

قال القائد الأعلى فى انفعال :

- وهذا يعنى أن أحد العاملين فى هذا المشروع شخص خائن يا دكتور (ناظم) .

بدا الانزعاج الشديد على وجه الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :

- ولكن هذا مستحيل يا سيّدى .. الثلاثة العاملون فى هذا المشروع من أكثر علماء المركز إخلاصًا وانتماءً ، ومجرّد الشك فى نزاهتهم أمر غير وارد على الإطلاق .

قال (نور) :

- معذرة يا دكتور (ناظم) ، ولكننى لا أميل إلى الثقة المطلقة ، بالنسبة للأمور المتعلقة بأمن الدولة .

قال الدكتور (ناظم) فى توتر :

- أتعنى أنك تشك فيهم ؟

هز (نور) كتفيه ، وقال :

- بالطبع .. الأحداث كلها تؤكد أن أحدهم خائن ، وسأشك فى الجميع ، حتى أعثر على الخائن بينهم .

مط الدكتور (ناظم) شفتيه فى ضيق ، ولكن القائد الأعلى قال فى حزم :

- لك كل الحق فى هذا أيها الرائد ، وأنا أمنحك الآن سلطة البحث والتحقيق ، وحق الاطلاع على كل الوثائق ، التى تتيح لك فرصة التوصل إلى الحقيقة .

قال (نور) :

- سأبذل ما بوسعى ياسيدى .. اطمئن .

اعتدل القائد الأعلى فى مقعده ، وقال :

- هناك أمر آخر يا (نور) .. لقد وضع الخبراء قائمة بالأماكن الثلاثة ، التى يحتمل أن تكون الهدف التالى لذلك الآلى ، وأريد منك أن تطالعها ، وتدلى برأيك فيها .

قال (نور) فى بساطة :

- أى مكان فى (مصر) يمكن أن يكون الهدف التالى ياسيدى ، حتى بدا عاديًا وبسيطًا .

ثم امتلأ صوته بالحزم ، وهو يضيف :

- إننا أمام مجنون جديد ، يسعى لامتلاك قوة تمنحه التفوق التام .. عندما تحين اللحظة ، التى يسفر فيها عن أهدافه الحقيقية ، وفى هذا المضمار لا توجد قواعد أبدًا .

وصمت لحظة ، ثم كرّر فى حزم أكثر :

- أبدًا .

وكان على حق ..

* * *

خيّم الهدوء كالمعتاد ، على معهد أبحاث الطيران ، الذى تمت إقامته فى نفس المنطقة ، التى كان يحتلها (ميناء القاهرة الجوى) القديم ، وبدا رئيسه المهندس (طاهر) سعيدًا للغاية ، وهو يقول لأحد مهندسى المعهد فى حماس :

- حزام الطيران هذا هو أعظم إنجاز فى عالم الطيران ، فى القرن الحادى والعشرين يارجل .. انظر كم هو صغير وبسيط .. أتعلم أنه يفوق الحزام السابق ، الذى تم صنعه فى عام ألفين وثلاثة ، فى قوته وسرعته ؟.. صدقنى .. إننى شديد الفخر به .

سأله المهندس فى اهتمام :

- أتتوقع أن يتم تصنيعه قريبًا ؟

تنهّد المهندس (طاهر) فى سعادة ، وقال :

- لاشك فى هذا ، ولكن الذى تراه الآن هو النسخة الوحيدة منه ، التى تم صنعها بالكامل ، ولقد احتاج هذا إلى تضافر كل الإمكانات ، ولكن وجود التصميمات على اسطوانات الكمبيوتر هذه ، يجعل صنع الآلاف منه أمرًا ممكنًا ، عندما تكتمل المصانع اللازمة لهذا .

قال المهندس فى حماس :

- عظيم .. عظيم يا سيّدى .. هذا يعنى أنه بعد عام واحد على الأكثر يمكننا أن ..

- بتر عبارته بغتة ، وتراجع فى حركة حادة عنيفة ، وهو يحدّق فى مدخل حجرة المهندس (طاهر) فى ذعر ، وجعل (طاهر) يلتفت إلى المدخل نفسه ، ثم ينتفض جسده كله فى قوة ..

وفى صمت وبرود ، كان الآلى يقف عند باب الحجرة ، ويتطلع إليهما ..

ولم تكن له أعين بشرية هذه المرة ..

كانت هناك - بدلًا منها - آلتا الفيديو الدقيقتين ، فى منتصف الرأس المعدنى اللامع ..

وبصوت متوتر مرتجف ، قال المهندس (طاهر) :

- من أنت ؟.. أعنى ما أنت ؟.. وماذا تفعل هنا ؟

أما المهندس الآخر ، فقد تراجع قائلًا فى انفعال :

- سأستدعى رجال الأمن .. لست أدرى كيف تجاوزهم ، ووصل إلى هنا .

ولكن الآلى تحرّك فى سرعة عجيبة ، فقطع الحجرة كلها فى جزء من الثانية ، وقبضت أصابعه المعدنية على معصم المهندس ، قبل أن يضغط زر هاتف الفيديو ، ولوى المعصم بحركة سريعة مباغتة ، انتفض لها جسد المهندس (طاهر) مرة أخرى ، عندما صدر عن المعصم صوت مخيف ، اختلط بصرخة المهندس :

- لقد كسرت معصمى .. أيها المجنون .. أيها المتوحش ..

راح يصرخ لثانيتين ، قبل أن تهوى قبضة الآلى على رأسه ، فتشج جمجمته شجًا ، وتلقيه على الأرض جثة هامدة ..

وتجمّدت الدماء فى عروق المهندس (طاهر) ، عندما التفت إليه الآلى ، وامتدت يده إلى حزام الطيران ..

ولم ينطق (طاهر) حرفًا واحدًا ..

لقد ترك الآلى يلتقط حزام الطيران دون مقاومة ، ثم يستدير إلى اسطوانات الكمبيوتر ، التى تحمل كل التصميمات ، ويسحقها بضربة واحدة ، ثم يتجه إلى الباب ..

وفى لحظات ، كان الآلى قد اختفى خارج المكان ..

وهنا .. هنا فقط هتف المهندس (طاهر) :

ـ لقد سرق حزام الطيران الجديد .

لم يكد يتم عبارته ، حتى التقطت عيناه ذلك المشهد ، من نافذة حجرته ..

كان الآلى قد ارتدى حزام الطيران ، وانطلق به طائرًا ، و ... واختفى ..

لقد بدأ الآلى مرحلة جديدة ..

مرحلة التفوّق ..

التفوّق الجوى .

* * *

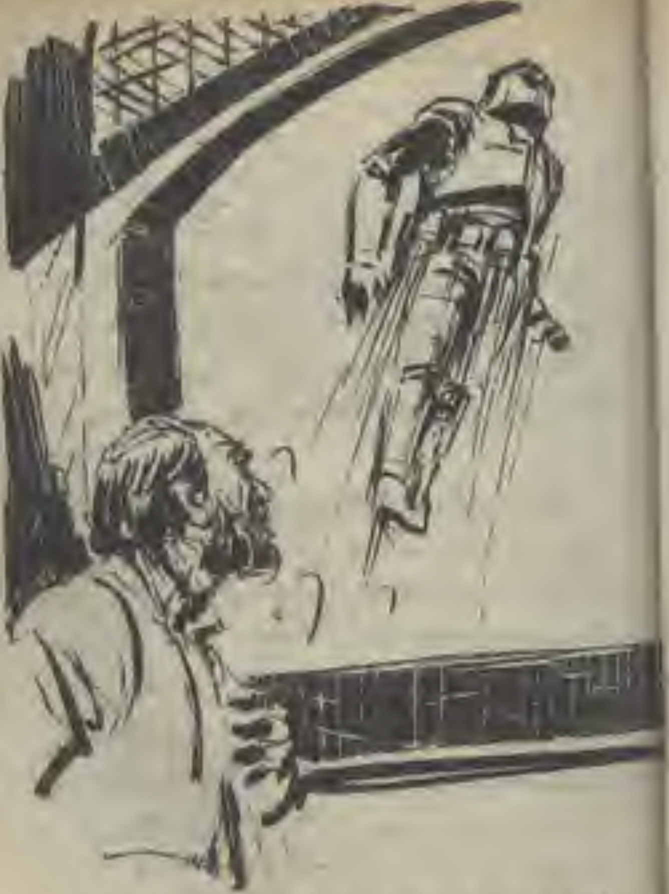

لم يكد يتم عبارته ، حتى التقطت عيناه ذلك المشهد ، من نافذة حجرته .
كان الآلى قد ارتدى حزام الطيران ، وانطلق به طائرًا واختفى ..

٦ ـ التفوّق ..

لم يكن جسد المهندس (طاهر) قد توقف عن الارتجاف بعد ، عندما وصل (نور) والدكتور (ناظم) إلى معهد أبحاث الطيران ، والتقيا به فى حجرته ، فربّت (نور) على كتفه ، وهو يقول :

ـ اهدأ يا سيدى .. لقد انتهت مشكلتك المباشرة ، ولم يعد هناك ما يهددك .

تطلع إليه (طاهر) لحظة فى اضطراب ، قبل أن يقول :

ـ إننى أحاول أيها الرائد .. صدقنى .. إننى أبذل أقصى جهدى ؛ للسيطرة على أعصابى ، ولكن ما مررت به كان أمرًا بشعًا رهيبًا بالفعل .. ذلك الآلى قتل المهندس بلا رحمة ، واستولى على حزام الطيران الجديد ..

قال (نور) :

ـ ومن حسن حظك أنه لم يقتلك أيضًا .

لوّح (طاهر) بكفه ، هاتفًا :

ـ أنا لم أقاومه ، ولو فعلت لقتلنى حتمًا .

التقى حاجبا (نور) ، وهو يقول فى ضيق :

ـ ربما كان هذا ما يسعى إلى نشره بالفعل .

سأله الدكتور (ناظم) :

ـ ماذا تعنى بقولك هذا ؟

أجابه (نور) فى توتر ملحوظ :

ـ هذا الآلى ومن خلفه يحاولون ترويضنا ، فكل من يقاومه يقتل بلا رحمة ، أما من يستسلم له فينجو .. قاعدة مخيفة ، سيدركها الجميع ويتبعونها ، إن عاجلاً أو آجلاً .

عقد الدكتور (ناظم) حاجبيه بتوتر ، وهو يقول :

ـ ومع الوقت لن يحاول أى مخلوق مقاومته .. يا لها من فكرة شيطانية .

تنهد (نور) فى ضيق ، ثم التفت إلى (طاهر) ، يسأله فى اهتمام :

ـ لقد رأيت ذلك الآلى جيدًا يا سيد (طاهر) ، فهل يمكنك أن تصفه لنا ؟

لوّح الرجل بكفه ، وقال :

ـ إنه آلى .. مجرّد آلى .. جسم معدنى ، يشبه الدروع التى كان يرتديها الفرسان قديمًا ، ورأس بيضاوى كبير ، تتوسّطه عدستا فيديو دقيقتان ، بدلاً من العينين .. إنه يبدو كشخص يرتدى درعًا حديثًا

اعتدل (نور) بحركة مفاجئة ، وهو يسأله :

- يبدو كماذا ؟

ارتبك الرجل ، وتصور من لهجة (نور) أنه أخطأ فى شىء ما ، فكرر فى حذر :

- كشخص يرتدى درعًا حديثًا .. ربما لم يكن تعبيرًا دقيقًا ، ولكن ..

بدا الشرود فجأة على وجه (نور) ، فتوقف المهندس عن الاستطراد ، فى حين تطلع الدكتور (ناظم) إلى (نور) فى حيرة ، ثم سأله :

- ماذا هناك ؟

هز (نور) رأسه بنفس الشرود ، وهو يجيبه :

- لا شىء يا سيدى .. فقط استرجعت كلمة نطقت بها (مشيرة) ، وأنا أسألها عما رأته .

سأله الدكتور (ناظم) فى اهتمام :

- أية كلمة هذه ؟

أجابه (نور) ، وهو يفكر فى عمق :

- لقد وصفت ذلك الذى هاجمها بأنه شخص ، وليس آليًا .

قال الدكتور (ناظم) :

- ربما تقصد أنه شخص آلى .

هز (نور) رأسه ، وقال :

- ربما يا سيدى .. ربما .

بقى الدكتور (ناظم) لحظات ، يتطلع إلى وجه (نور) ، قبل أن يغمغم بدوره :

- ربما .

ثم التفت إلى (طاهر) ، يسأله :

- ولكن كيف تفسّر وصول ذلك الآلى إلى مكتبك ، دون أن يشعر به رجال الأمن فى المعهد ؟

هز (طاهر) رأسه فى حيرة ، وقال :

- هذا ما يدهشنى بشدة .. لقد أنكر الجميع مجرد رؤيته ، ولست أدرى كيف عبر كل أنظمة الأمن ، دون أن يلمحه رجل أمن واحد !!

ولكن (نور) لم ينتبه إلى هذا الجواب ..

كان ذهنه مشغولًا بالسؤال ذاته ، الذى تفجّر فى عقله ، دون أن يأتى بجواب واضح صريح ..

لماذا وصفت (مشيرة) ذلك الآلى بأنه شخص ؟.. لماذا ؟..

* * *

نهضت الدكتورة (جيهان مراد) تستقبل (مشيرة محفوظ) فى ترحاب ، وهى تقول فى حرارة :

- صباح الخير يا (مشيرة) .. كيف حالك ؟.. لم تبدين شاحبة هذا الصباح ؟.. هل أصابك شيء ما ؟

هزت (مشيرة) رأسها نفيًا ، وقالت بصوت مختنق :

- لقد مررت بتجربة سيئة فحسب .

تطلعت إليها (جيهان) لحظات فى قلق ، ثم قالت متعاطفة :

- لو أنها تجربة عاطفية أو نفسية ، فسأطلب من خطيبى الدكتور (هيثم) رؤيتك .. هل تعرفينه ؟.. إنه (هيثم كامل) .. أشهر طبيب نفسى فى (القاهرة الجديدة) كلها .

هزت (مشيرة) رأسها مرة أخرى ، وقالت :

- أشكرك .. لست أحتاج إلى هذا ؟

هتفت (جيهان) :

- هل تمزحين ؟.. كل خلجة من خلجاتك تقسم بأنك تحتاجين إلى طبيب نفسى .. هيا .. لا داعى للخجل .. نصف الأسماء المعروفة فى المجتمع تذهب لزيارة (هيثم) .. أنا نفسى أثق به وبذكائه ، و ...

قاطعتها (مشيرة) بغتة :

- هل يمكننى رؤية (أكرم) ؟!

تطلعت إليها (جيهان) لحظة أخرى فى دهشة ، ثم قالت :

- بالتأكيد .. يمكنك دائمًا رؤيته وقتما تشائين ، فحالته ثابتة ، لا تتغير قط ، منذ أتى إلى هنا .

سألتها (مشيرة) فى توتر عجيب :

- أما يزال غارقًا فى غيبوبته ؟

أومأت (جيهان) برأسها إيجابًا ، وهى تصحبها إلى حجرة الرعاية المركزة ، وقالت فى أسف :

- لا توجد أية دلائل ، تشير إلى احتمالات تحسن مستقبلية .

سألتها (مشيرة) فى توتر :

- أأنت واثقة ؟!

تطلعت إليها (جيهان) للمرة الثالثة فى دهشة ، وسألتها :

- ماذا بك يا (مشيرة) ؟

قالت (مشيرة) فى عصبية :

- قلت لك : إننى مررت بتجربة عصبية .

سألتها (جيهان) :

- أهى عصبية إلى هذا الحد ؟

أجابتها (مشيرة) فى اقتضاب ، شأن من لا يرغب فى خوض حديث طويل :

- نعم .

أدركت (جيهان) أن (مشيرة) لا ترغب فى الحديث ، فلاذت بالصمت بدورها ، حتى بلغا حجرة العناية المركزة ، حيث يرقد (أكرم) ، وقد اتصلت بجسده عدة أسلاك وخراطيم دقيقة ، وأحاطت به شاشات الأجهزة المختلفة ، وكل منها يرسم إشارات منتظمة ثابتة ، فقالت (مشيرة) فى توتر :

- أأنت واثقة من أنه يرقد فى غيبوبة عميقة ؟

سألتها (جيهان) فى دهشة :

- ما هذا السؤال ؟

كررت (مشيرة) فى عصبية :

- أأنت واثقة ؟!

تنهدت (جيهان) ، وقالت :

- نعم يا (مشيرة) .. أنا واثقة ككل طبيب هنا ، من أن (أكرم) يرقد فى غيبوبة عميقة ، وكل هذه الأجهزة التى ترينها أمامك تؤكد هذا ، بما لا يقبل الشك .. ولكن ما سر هذا السؤال العجيب ؟

قالت فى حدة :

- مجرد سؤال .

سألتها (جيهان) فى خبث أنثوى :

- فقط .

صاحت فى عصبية شديدة :

- نعم .. فقط .. هذا شأنى وحدى .

هتفت (جيهان) :

- (مشيرة) .. ماذا أصابك ؟

صاحت (مشيرة) :

- لا شىء .. توقفى عن سؤالى عما أصابنى .. إننى على ما يرام .. هل تفهمين ؟.. على ما يرام .

قالتها وانفجرت فجأة باكية ، ثم اندفعت تغادر المكان ، ودموعها تنهمر فى غزارة ، فتابعتها (جيهان) بنظرها فى دهشة بالغة ، وغمغمت :

- ماذا أصابها ؟!..

وبقى سؤالها بلا جواب ..

* * *

على الرغم من أن (نور) لم يذق طعم النوم ، خلال الليلة سابقة ، إلا أنه لم يستطع إغلاق جفنيه ، وهو يرقد على فراشه ، فى مساء ذلك اليوم ، حتى أن زوجته (سلوى) شعرت بقلق حقيقى من أجله ، فمررت أصابعها فى شعره ، وسألته فى حنان :

- ألن تستسلم للنوم قليلاً ؟

أجابها فى خفوت :

- هناك أمر ما يقلقنى .. أو أمران ، لو شئت الدقة .

سألته فى اهتمام متعاطف :

- ما هما ؟

أجاب شاردا ببصره فى سقف الحجرة :

- أولهما الهدف الحقيقى ، الذى يسعى إليه خصمنا ، من كل ما يفعله .. إنه ليس جاسوسنا حتمًا ، فهو لا يتبع ما يتبعه الجواسيس عادة ، وهذا يعنى أنه يسعى لهدف شخصى ، أو لحساب منظمة جديدة ، وأيًا كانت الجهة التى ينتمى إليها ، فهو لا يفعل كل ما يفعل ، لمجرد جمع بعض الأسلحة الحديثة .. إنه يسعى جاهدًا ليصبح أقوى شخص على سطح الأرض .. أو الشخص الذى يمتلك أقوى أسلحة معروفة .. ولكن ماذا بعد هذا ؟.. ما الذى سيفعله ، عندما يصل إلى هذا بالفعل ؟

قالت فى قلق :

- إنه أمر يستحق التفكير بالفعل .

صمتا معًا ، وهما يدرسان الأمر ، كل على حدة ، ثم سألته (سلوى) :

- وما الأمر الآخر .

زفر مجيبًا :

- (مشيرة)؟

سألته فى دهشة :

- ماذا عنها ؟

قال فى خفوت :

- إنها تخفى أمرًا ما ، وترفض الإفصاح عنه .

سألته فى اهتمام :

- أى أمر هذا ؟

قال فى حزم :

- أمر يتعلق بحقيقة ذلك الآلى .

ثم نهض من فراشه بحركة مباغتة ، وفتح دولاب ملابسه ، ليلتقط ثيابه ، فسألته زوجته ، فى مزيج من الدهشة والقلق :

- هل ستعاود الخروج؟

أجابها فى سرعة :

- نعم .. سأذهب لزيارة (مشيرة) .. أريد معرفة ما تخفيه.

قالت فى قلق :

- ولكنك لم تنم منذ أمس .

قال وهو يرتدى ثيابه ، ويسرع إلى الخارج :

- سأنام فيما بعد ، عندما يهدأ عقلى ، ويمكننى معرفة ما تخفيه (مشيرة) .. ولماذا تخفيه !؟

حاولت مناقشة الأمر ، ولكنه لم يمنحها الفرصة ، وإنما غادر

المنزل فى لمح البصر ، وقفز إلى سيارته الصاروخية ، وانطلق بها نحو منزل (مشيرة) ..

كان يشعر بالفعل أن حل اللغز كله بين يديها ..

فى عقلها ..

وأعماقها ..

وبسرعة سيارته الصاروخية ، قطع المسافة من منزله إلى منزلها فى أربع دقائق فحسب ، ولقد استقبلته بوجه شاحب ، وعينين محمرتين ، جعلتاه يسألها فى قلق :

- أكنت تبكين ؟

هزت رأسها فى عصبية ، وأجابت :

- لا .. كنت نائمة فحسب .

لم يحاول مجادلتها ، على الرغم من الدموع الواضحة فى مقلتيها ، وتركها تقوده إلى حجرة الضيوف ، المجاورة لباب شقتها ، ولم يكد يجلس على مقعده ، حتى سألها بغتة :

- لماذا تخفين أمر ذلك الشخص يا (مشيرة) ؟

كان يتوقع منها اعتراضا أو استنكارا ، ولكنها أشاحت بوجهها دون أن تجيب ، فأدرك أنه أصاب هدفا صحيحا ، وكرر فى صرامة

- لماذا يا (مشيرة) ؟

انفجرت فجأة باكية ، وراحت تنتحب فى شدة ، وهى تقول :

- اتركنى وشأنى يا (نور) .. أرجوك .

سألها فى حزم ، متجاهلا دموعها :

- ما الذى تحاولين إخفاءه يا (مشيرة) ؟..

هتفت من وسط دموعها ، وهى تلوّح بكفها فى حدة :

- لست أخفى شيئا !

واصل ضغطه عليها ، قائلا :

- من الذى تحاولين حمايته إذن ؟

صرخت :

- اتركنى يا (نور) .. أرجوك .

نهض يمسك كتفها ، وهو يقول فى صرامة :

- اسمعى يا (مشيرة) .. اسمعينى جيدًا .. أنا أعلم الحقيقة مثلك .

انتفض جسدها فى ذعر ، وهى تهتف :

- الحقيقة ؟!.. أية حقيقة ؟

قال فى حزم ، وهو يتطلع إلى عينيها مباشرة :

- أعلم مثلك أن خصمنا ليس شخصا آليا .. إنه بشرى .

اتسعت عيناها فى ذعر شديد ، وارتجفت شفتاها فى شدة ، وأدرك (نور) أنه قد أصاب الهدف مباشرة هذه المرة ، وهم بالاستطراد ، وطرق الحديد وهو ساخن ، لولا أن انطلق رنين جرس الباب فجأة ، فانتزع (مشيرة) من توترها الشديد ، وانتفض جسدها فجأة ، ثم هتفت :

- سأرى من بالباب .

وتملصت من (نور) فى حركة سريعة ، واندفعت نحو باب الشقة ، وفتحته ، و ... وانطلقت صرختها ..

صرخة مدوية ، تموج بالارتياع ..

وبالرعب ..

* * *

٧ ـ مفاجأة ..

تطلع الدكتور (ناظم) إلى وجوه العلماء الثلاثة (مجيد) و(مروان) و(فايد) ، الذين يعملون معا فى مشروع زى التخفى العسكرى الجديد ، قبل أن يقول فى حزم :

- مهما كانت اعتراضاتكم ، ومهما كان احتجاجكم أيها السادة ، فهناك حقيقة لا تقبل الجدل ، وهى أن السر قد تسرب بالفعل ، وأن شخصا ما ، أو منظمة ما ، تستغل هذا السلاح الجديد ، لسرقة المزيد من أسلحتنا وأسرارنا .

قال (مجيد) فى توتر شديد :

- ولكن أحدنا لم ينبس ببنت شفة يا سيدى .. إننا ندرك خطورة الأمر ، ونعمل فيه بمنتهى السرية .

وهتف (مروان) فى مرارة :

- وهذا يحطمنا نفسيا يا سيدى .. صدقنى .. لو أننا كشفنا ذلك السر ، لما احتاج الأمر إلى عرضنا على الطبيب النفسى ، كل حين وآخر .

ولوح (فايد) بكفه ، مستطردا فى حنق :

- هذا بالإضافة إلى المرتبات الضئيلة .

أكمل الدكتور (ناظم) فى سرعة :

- التى تدعو إلى السرقة .

صاح (فايد) كالمصعوق :

- السرقة ؟!.. أتتهمنى بتسريب معلومات أمنية بالغة الخطورة ، من أجل المال ياسيدى ؟!

قال الدكتور (ناظم) فى صرامة :

- بم تفسّر تسرّب المعلومات إذن ؟

تبادل العلماء الثلاثة نظرة غاضبة ، قبل أن يقول (مروان) فى حدة :

- فليكن .. إننا نقترح استجوابنا ، بجهاز كشف الكذب الحديث .

صمت الدكتور (ناظم) لحظة ، وهو يتطلع إلى وجوه ثلاثتهم ، ثم قال فى حزم :

- هذا نفس ما اقترحه القائد الأعلى .

ثم استدرك فى سرعة :

- علماً بأن الجهاز الحديث شديد الدقة ، لا يمكن خداعه قط ، على عكس الجهاز القديم ، والاستجواب سيدين المسئول حتماً .

قال الدكتور (مهيد) فى غضب :

- أو يثبت براءة الجميع .

هزّ الدكتور (ناظم) كتفيه ، وقال :

- لو أنهم أبرياء .

قال (مروان) فى حدة :

- فليكن .. إننا نوافق على الاستجواب .

ابتسم الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

- جميعكم .

قال (فايد) فى حزم :

- نعم يادكتور (ناظم) .. سنخضع كلنا للاستجواب ، بجهاز كشف الكذب الحديث .. هذا وحده يمكن أن يكشف الحقيقة .

اتسعت ابتسامة (ناظم) الغامضة ، وهو يقول :

- نعم .. هذا وحده يكشف الحقيقة .. ويكشف المسئول .

وبدأ الاختبار ..

* * *

لم تكد أذنا (نور) تلتقطان صرخة (مشيرة) ، حتى اندفع جسده كله كالصاروخ ، وتجاوز ذلك الممر القصير ، الذى يفصل حجرة الضيوف عن باب الشقة ، فى لمح البصر ، ورأى أمامه شخصاً يقف أمام (مشيرة) ، فانقض عليه فى عنف ..

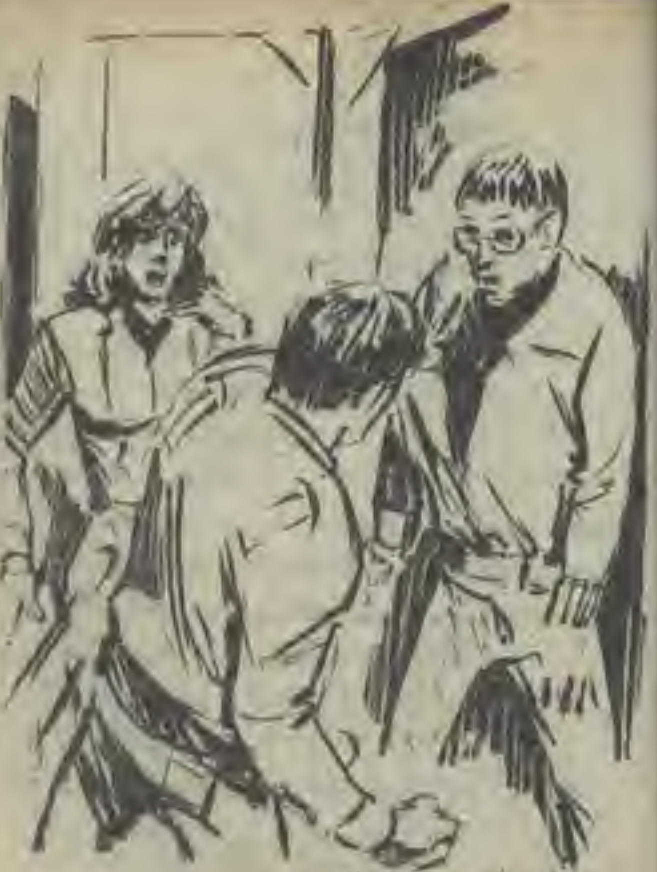

ولم يكن الأمر يحتاج عمليًا للعنف
لقد كان ذلك الشخص نحيلًا ، ضئيل الجسد ، يرتدى منظارًا طبيًا
وزيًا بسيطًا .

ولم يكن الأمر يحتاج عمليًا للعنف ..

لقد كان ذلك الشخص نحيلًا ، ضئيل الجسد ، يرتدى منظارًا طبيًا ، وزيًا بسيطًا ..

وفى ذعر شديد ، هتف ذلك الشخص :

- أنا .. أنا لم أفعل شيئًا .

ضمّ (نور) قبضته مهددًا ، وهو يسأل (مشيرة) :

- ماذا فعل بك هذا الوغد ؟

صاح الشخص :

- أقسم لك إننى لم أفعل شيئًا ، لقد رأتنى أمامها فصرخت بغتة ، دون أن أفعل شيئًا .

قال (نور) فى صرامة :

- أتتوقع منى أن أصدق هذا ؟

سمع من خلفه صوت (مشيرة) ، وهى تقول مرتجفة :

- إنها الحقيقة .

التفت إليها فى دهشة ، هاتفًا :

- الحقيقة ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت فى توتر :

- لست أدرى حتى لماذا أطلقت هذه الصرخة ، ولكن يبدو أن أعصابى شديدة التوتر بالفعل .

هتف الشاب ، وهو يعدّل منظاره فوق أنفه :

ـ ألم أقل لك ؟

تركه (نور) ، وهو يقول :

ـ معذرة .. لست أدرى لماذا فعلت (مشيرة) هذا ؟

عدّل الشاب ثيابه ، وهو يقول :

ـ أنا هنا لأجيب هذا السؤال .

سألته (مشيرة) فى دهشة :

ـ أى سؤال ؟

أجاب فى ارتباك :

ـ أنا الدكتور (هيثم كامل) ، إخصائى الطب النفسى ، وخطيب الدكتورة (جيهان مراد) .. لقد طلبت منى (جيهان) المرور على منزلك ، للاطمئنان على حالتك النفسية ، ويبدو أنها كانت على حق ، فمن الواضح أن أعصابك ثائرة للغاية .

مرّرت (مشيرة) أصابعها فى شعرها ، على نحو يوحى بالإرهاق والتوتر ، وهى تقول :

ـ يبدو أيضًا أن (جيهان) تهتم بشئونى أكثر مما ينبغى .

أما (نور) ، فمدّ يده يصافح (هيثم) ، قائلاً :

ـ أكرر أسفى يا دكتور (هيثم) ، فنحن لم نلتق شخصيًا ،

ولكننى سمعت بشهرتك الواسعة ، فالجميع يرددون اسمك هذه الأيام .

ابتسم (هيثم) فى زهو ، وهو يقول :

ـ هذا طبيعى ، فأنا الطبيب النفسى المعالج للجميع ، بعد انتهاء الغزو ، وبدء العالم الجديد .. يبدو أن العلاج النفسى سيستعيد مكانته هذه الأيام .

قالت (مشيرة) ، وهى تدعوه الى الدخول :

ـ لا عجب فى هذا ، فالمصاعب تتضاعف فى كل عام يمضى .

أجابها فى هدوء :

ـ الطب النفسى لا يقضى على المصاعب ، ولكنه يساعد المرء على احتمالها .

قالت فى حدة :

ـ ولكننى لا أحتاج الى علاج نفسى .

قال مبتسمًا :

ـ هل تراهنين ؟

قال (نور) فى هدوء :

ـ ربما تحتاجين الى ما ينعش ذاكرتك ، حتى يمكنك تذكر ما يخفيه عقلك ، بشأن خصمنا .

رفع (هيثم) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .. هناك وسيلة مضمونة ، لاستعادة كل ما يرفض

العقل الباطن الاعتراف به .. التنويم المغناطيسى .. إننى خبير فى هذا المجال ، ويمكننى إغراقك فى التنويم المغناطيسى فى لحظات ، و ...

قاطعته فى حدة :

- لا داعى .

ثم تهدج صوتها ، وهى تستطرد :

- إننى أتذكر كل شىء .

سألها (نور) ، فى صوت لا يخلو من الحزم :

- وما هذا الـ(كل شىء) ؟

مرّرت أصابعها فى شعرها مرة أخرى ، وبدت شديدة التوتر والإرهاق ، وهى تقول :

- لقد أخبرتك كل ما أعرف .

قال (هيثم) فجأة :

- خطأ .

التفتت إليه فى دهشة ، وقالت فى حدة :

- ما هذا الخطأ ؟

عدّل وضع منظاره الطبى مرة أخرى ، وهو يجيب :

- أنت تكذبين .. هناك أمر ما تخفينه ، وترفضين الإفصاح عنه ، وهذا الأمر بالغ الخطورة ، ويمس قلبك كثيرًا .

حدقت فى وجهه بدهشة ، وهى تهتف :

- ماذا تقول ؟

أجاب فى سرعة :

- لست أنا من يقول هذا .. الطب النفسى هو الذى يقوله .. لقد قرأت انفعالاتك فحسب .

بدا التوتر على وجهها ، فى حين قال (نور) :

- إنك تذكرنى بصديق لى .

ابتسم (هيثم) ، وهو يقول فى لهفة :

- حقًا ؟!

لم يجب (نور) سؤاله ، وإنما التفت إلى (مشيرة) ، وسألها فى حزم صارم :

- ما الذى تخفينه يا (مشيرة) ؟

ترقرقت عيناها بالدموع مرة أخرى ، وقالت :

- سأخبرك يا (نور) .. ليست هناك فائدة من الإنكار .. سأخبرك كل شىء ..

وسرقتها شهقة قصيرة ، قبل أن تتابع :

- خصمنا ليس آليًا .. بالفعل .. إنه بشرى ، ولقد رأيت عينيه بنفسى .

أكمل (نور) :

- وعرفت من هو ؟

سرت فى جسدها قشعريرة باردة .. وهى تومئ برأسها إيجابا ، وتقول بصوت متحشرج ، اختنق فى حلقها :

- نعم .. عرفت من هو

سألها فى لهفة :

- من هو يا (مشيرة) ؟.. من ؟

وأخبرته ..

وتضاعفت دهشته ..

تضاعفت بشدة ..

* * *

أحيطت المخازن الرئيسية لوزارة الدفاع بحراسة شديدة مكثفة ، فى ظل هذه الظروف ، وبذل طاقم الأمن أقصى طاقته ، لتأمين المكان وحمايته .. وقال قائد الطاقم لرجاله فى حزم ، مع تغيير نوبة الحراسة :

- اسمعونى جيدا يا رجال .. القيادة تقول : إنه من المحتمل أن نواجه خصما غير تقليدى ، فى أية لحظة ، ومن المحتم أن نكشف أمره ، ونتصدى له بكل حزم وقوة ، مهما كان الثمن ، وأيا كانت التضحيات ، فهذا أمر يتعلق بأمن الدولة كلها .. هل تفهمون ؟

أجابوا جميعا بالإيجاب ، فى حسم وحزم ، ثم سأله أحدهم :

- ولكن ماطبيعة خصمنا بالضبط ؟.. لقد زودونا بدروع خاصة ، وأسلحة ليزر قوية ، ووضعوا جهاز رادار كبير على سطح المبنى ، فما الذى ينبغى أن نتوقع مجابهته ؟.. أطائرة مقاتلة .. أم جيش من الغزاة ؟

قال القائد فى حسم :

- بل آلى مقاتل ..

هتف بعضهم فى دهشة :

- آلى ؟!..

أجابه القائد :

- نعم أيها الجندى .. سنواجه شخصا آليا مقاتلا ، يمتلك عدة قدرات فائقة ، وتحتاج مواجهته إلى فريق كامل ، ولكننا سنكشف أمره بإذن الله ، وبفضل كل هذه الأجهزة الحديثة ، التى ...

قبل أن يتم عبارته ، دوى الانفجار ..

لم يكن انفجارا فى مخزن الأسلحة ، وإنما فى محطة توليد الكهرباء ، على بعد كيلومترين من المكان ..

وساد ظلام دامس مباغت ، جعل القائد يهتف :

- تأهبوا يا رجال .. لقد نسف خصمنا محطة توليد الكهرباء ، التى تمدنا بالطاقة ، ولكن المولد الاحتياطى سيعمل بعد لحظات

لم تمض ثوان ، حتى بدأ المولد الاحتياطى عمله ، فسطعت الأضواء كلها مرة أخرى ، وقال القائد فى ارتياح :

- حمدًا لله .. كل شىء يسير على ما يرام ..

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدق فى مدخل المخزن الرئيسى ، حيث انفتح بابه عن آخره ، وسقط الجندى المكلف حراسته أمامه ، وسط بركة من الدماء ..

وهتف القائد ، وهو يعدو نحو الباب :

- إنه هنا .

سرى التوتر فى أجساد الرجال ، وتأهب كل منهم بمدفعه الليزرى القوى فى حذر ، فى حين بلغ القائد موضع الباب فى لحظات ، وانحنى يفحص الجندى القتيل ، قبل أن يقول فى انفعال :

- لقد قتله شىء ما .. جمجمته مشجوجة إلى نصفين .

أجابه مساعده ، وهو يتلفت حوله فى قلق :

- كيف ؟! .. لم ينقطع الضوء لأكثر من لحظات ، ثم إن الضربة التى شجت جمجمة الرجل هكذا ، تحتاج إلى جسم يزن ربع طن على الأقل .

غمغم القائد :

- أو إلى قبضة فولاذية .

ثم هتف مستطردًا ، وهو يشير إلى بقعة قريبة .

- انظر .. هناك آثار أقدام .

التفت مساعده فى سرعة إلى آثار الأقدام ، وهتف :

- ربّاه !! .. هذا صحيح .. لقد كان خصمنا يقف هنا .. كيف لم نره إذن ؟

أجابه القائد فى توتر :

- ليس هذا هو المهم .. انظر إلى آثار الأقدام .. إنها تسير إلى هنا ، وتعبر الباب .

اتسعت عينا مساعده ، وهو يقول :

- أتدرى ما يعنيه هذا ياسيدى ؟

اعتدل القائد ، وقبض على مدفع الليزر فى حزم وقوة ، وهو يقول :

- نعم يا رجل .. يعنى أن خصمنا هنا .. داخل مخزن الأسلحة .

وازداد صوته حزمًا ، وهو يضيف :

- وداخل الفخ .

* * *

٨ ـ القتال ..

انهمكت (نشوى) فى العمل ، أمام جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، واستحوذ هذا الأمر على كل حواسها ، حتى أنها انتفضت فى شدة ، عندما سمعت صوت أمها من خلفها ، وهى تسألها فى اهتمام :

ـ ماذا تفعلين ؟

قفزت من مقعدها شاهقة ، ثم هتفت :

ـ أماه .. لقد أفزعتنى .

ابتسمت (سلوى) قائلة :

ـ لم أكن أقصد هذا ، ولكن أخبرينى .. ماذا تفعلين ؟

أشارت (نشوى) الى الكمبيوتر ، قائلة :

ـ أحاول صنع صورة مكبّرة واضحة ، لوجه ذلك الآلى .

سألتها (سلوى) :

ـ لماذا ؟!.. إنه يرتدى خوذة معدنية .

قالت (نشوى) :

ـ هذا صحيح ، ولكن هناك فتحة مستطيلة ، فى موضع

العينين ، وأبى يقول إن شهادة (طاهر) ، مدير معهد أبحاث الطيران ، تؤكد أن الآلى يستخدم آلتى تصوير الفيديو ، اللتين سرقهما من شبكة (أنباء الفيديو) ، فى موضع العينين ، وأريد أن أعرف ماذا كان يستخدم قبل هذا .

امتلأت نفس (سلوى) بالفضول ، فجذبت مقعدًا ، وجلست إلى جوار ابنتها ، وتطلّعت إلى الشاشة ، وهى تسألها فى شغف :

ـ وماذا وجدت ؟

عادت (نشوى) الى عملها ، وهى تقول :

ـ ستعرف بعد لحظات ، فالتكبير يفسد التفاصيل الدقيقة ، ولكن هذا البرنامج الذى أستخدمه ، يعمل على ترميم الصورة ، وتوضيحها ، مستعينًا بالتتابع المنطقى للنقاط الإليكترونية .

أومأت (سلوى) برأسها متفهّمة ، وراحت تتابع فى لهفة تلك الخطوط والنقاط الملوّنة ، التى يرصّها الكمبيوتر على شاشته فى سرعة كبيرة ، مكوّنًا صورة مكبّرة للنصف العلوى ، من وجه الآلى ، حتى اكتملت الصورة ، فهتفت (نشوى) :

ـ يا إلهى !.. هذا آخر أمر كنت أتوقّعه .

اما أمها ، فقد حدّقت فى الشاشة فى صمت ذاهل ..

لقد كانت الصورة ، التى ترسمها شاشة الكمبيوتر ، هى صورة زوج من العيون ..

العيون البشرية ..

* * *

التقى حاجبا القائد الأعلى للمخابرات العلمية فى اهتمام شديد ، وهو يطالع نتائج اختبار كشف الكذب الحديث ، قبل أن يتراجع فى مقعده ، ويقول :

- إذن فالنتيجة سلبية ، بالنسبة للعلماء الثلاثة .

داعك الدكتور (ناظم) رأسه ، وهو يقول فى حيرة :

- هذا ما أثبته الاستجواب ، فالثلاثة صادقون تماما ، ومن المؤكد أن أحدهم لم يكشف سر الزى الدفاعى الجديد .

سأله القائد الأعلى :

- ألا يحتمل أن يخطئ جهاز كشف الكذب الجديد ؟

هز الرجل رأسه نفيا فى حزم ، وهو يقول :

- مستحيل !.. الجهاز الجديد يعمل بوساطة كمبيوتر شديد الحساسية والدقة ، يرصد ويحلل كل خلجة من خلجات الجسم ، ويسجّل أدق تغير فى معدلات النبض أو التنفس ، أو اختلافات ضغط الدم والحرارة ، وحتى إشارات المخ ، ويراجعها على ملايين المعلومات المسجّلة به ، ثم يعطى نتيجة ، لا تبلغ نسبة الخطأ فيها واحدا لكل ألف مليار مرة ، وهذا يعنى بلغة العلم أن نتائجه مضمونة مائة فى المائة .

اعتدل القائد الأعلى ، وسأله :

- كيف تسرّب سر الزى الجديد إذن ؟

عاد الدكتور (ناظم) يدعك رأسه ، متمتما :

- هذا ما يحيرنى ياسيدى .

هز القائد الأعلى رأسه ، وتنهد قائلا :

- هذا يحتاج إلى (نور) .

وافقه الدكتور (ناظم) ، قائلا :

- بالتأكيد ، فوحدها عقلية (نور) يمكنها تحليل الموقف كله ، ودراسة كل التفاصيل ، واستنتاج ما لا تراه أعيننا ، وما لم تدركه عقولنا ، فهذا الفتى يمتلك عقلية تحليلية نادرة بالفعل .

قال القائد الأعلى :

- حسنا .. أطلعه على نتائج التحقيقات والاستجوابات ، وعلى كل ما يهمه معرفته ، ولنر ماذا يمكنه أن يفعل .

ارتفع فى تلك اللحظة أزيز جهاز الاتصال الخاص ، فضغط القائد الأعلى أزراره ، وشاهد رسالة تتراص كلماتها فى سرعة ، على شاشة الكمبيوتر الصغير ، فهتف فى توتر :

- الآلى داخل مخزن وزارة الدفاع الرئيسى .

قفز الدكتور (ناظم) من مقعده ، هاتفا :

- ماذا ؟!.. هل سرق المخزن ؟

أجابه القائد الأعلى فى انفعال :

- ليس بعد .. إنهم يحاصرونه بداخله ، وسيحاولون الإيقاع به هناك .

هتف الدكتور (ناظم) :

- هذا أيضا يحتاج إلى عقلية خاصة ياسيدى .

ثم اندفع نحو الباب ، مستطردا فى حزم :

- إلى (نور) ...

* * *

ملأت الدهشة جسد (نور) حتى النخاع ، وهو ينطلق بسيارته ، مبتعدا عن منزل (مشيرة) ..

لم يكن قد استوعب بعد ما أخبرته به ..

مستحيل أن تكون على حق !!

ما تقوله ليس سوى جزء من أثر الانهيار العصبى الذى أصابها ..

(رمزى) سيؤكد هذا حتمًا ..

ولكن ماذا لو كانت على حق ؟!..

غيَّر الافتراض تفكيره تمامًا ، وأدار وجهة نظره مائة وثمانين درجة دفعة واحدة ، فتوالت فى رأسه مجموعة جديدة من الأسئلة ..

كيف يمكن أن يحدث هذا ؟..

من استغل الموقف على هذا النحو ؟!..

لو أن هذا صحيح ، فالآلى هو آخر مخلوق يخطر ببال الجميع ..

إنه ..

قطع حبل أفكاره صوت أزيز خاص ، انطلق من جهاز الكمبيوتر فى السيارة ، فضغط زره ، ورأى المعلومات تتراص على شاشته ، فقفز قلبه دهشة ، وهتف :

- مخازن وزارة الدفاع ؟!.. يا إلهى !

زاد من سرعة سيارته ، إلى أقصى حد تسمح به قوانين القيادة داخل المدن ، وتجاوز نطاق المدينة بعد ست دقائق ، متخذًا الطريق الخاص بالقيادة السريعة ، الذى يتجاوز نصب النصر على الغزاة ، المقام فى نهاية (مدينة نصر) ، واندفع عبر الطريق الصحراوى الجديد ، الذى قطعه خلال دقيقتين إلى مخازن وزارة الدفاع ..

وهناك كان الموقف واضحًا ..

لقد أحاطت ثلاث فرق مسلحة بالمخزن ، وأضيف إليها مدفع ليزر مضاد للطائرات ، وأجهزة كشف حرارى ، وراصد إليكترونى ، وسطعت الأضواء الكاشفة تحيط بالمكان كله ،

وتحول الليل إلى نهار ، فى حين توقفت سيارة الدكتور (ناظم) أمام الباب الرئيسى ، وعلى بعد عشرة أمتار منه ، ووقف الدكتور (ناظم) نفسه مع قائد فريق الأمن ، وانهمك معه فى نقاش حاد ، حتى أوقف (نور) سيارته إلى جوارهما ، وقفز منها قائلاً :

- أما يزال داخل المخزن ؟

التفت إليه قائد الفريق ، وحدجه بنظرة باردة ، فى حين قال الدكتور (ناظم) فى انفعال شديد :

- إنه بالداخل ، ولكنه لم يفعل شيئًا بعد .

سأله (نور) :

- هل رآه أحد ؟

هز الدكتور (ناظم) رأسه نفيًا ، وقال :

- كلا ، ولكن كل شىء يؤكد أنه بالداخل ، ويمكننا محاصرته وأسره .

قال (نور) :

- لن يكون هذا سهلاً .

التقى حاجبا القائد فى صرامة ، وهو يقول :

- ولن يكون صعبًا أيضًا .. سألقى القبض على هذا الشىء - أيًا كان - فى غضون نصف الساعة فحسب ، ولقد أعددت فرقة من رجالى لهذا .

قال (نور) محذرًا :

- لاحظ أن خصمك ليس تقليديًا .. إنه ..

قاطعه الرجل فى حزم :

- رجالى أيضًا ليسوا تقليديين .

ثم التفت إلى الدكتور (ناظم) ، مستطردًا :

- والآن معذرة .. أمامنا مهمة ينبغى إنجازها .

هتف الدكتور (ناظم) :

- ولكننى أمنعك من دخول هذا المخزن مع رجالك ، قبل أن تصل كل المعدات العلميةُ ، التى طلبتها من الإدارة ..

قال القائد فى حدة :

- آسف ياسيّدى .. إننى قائد عسكرى ، لا أنتمى إلى المخابرات العلميةُ ، وإداراتها المتحذلقة .. لقد تلقيت أوامرى بالدفاع عن المخزن الرئيسى ، وحمايته من أى اعتداء مهما كان الثمن ، وسأنفذ الأوامر بلا تردد .

والتفت إلى رجاله مستطردًا فى صرامة :

- هيا يارجال .

قال (نور) فى سرعة :

- أيمكننى أن أصحبكم .

رمقه القائد بنظرة صارمة ، وهو يقول :

- كلا أيها الرائد .. صحيح أنك بطل التحرير الشهير ، ولكن هذا وحده يكفى لأمنعك من اصطحابنا ، فربما يصيب وجودك رجالى بالإحباط .

قال (نور) :

- لن أعلن شخصيتي ، سأعمل كجندي عادي ، و ...

قاطعه القائد في غضب :

- قلت كلا أيها الرائد .

بدا الحنق على وجه (نور) ، ولكنه اعتدل صامتًا ، دون أن ينطق بحرف واحد ، في حين اندفع القائد مع خمسة من رجاله إلى داخل المخزن ، وهو يقول للفرق الواقفة خارجه :

- تأهبوا جميعًا للقتال ، واقتلوا كل من يخرج من هنا سوانا .

ثم غاب مع رجاله داخل المخزن ..

وفي توتر ، قال (نور) :

- هذا الأحمق لا يدرك قوة خصمه .

غمغم الدكتور (ناظم) :

- أخشى أن يدرك هذا بعد فوات الأوان .

زفر (نور) ، وقال :

- هذا ما أخشاه أنا أيضًا .

ووقف معقود الساعدين ، يراقب المدخل في توتر شديد ، وهو يشعر أن القتال لن ينتهي ببساطة هذه الليلة ..

أبدًا ..

* * *

عبر القائد ورجاله الخمسة ممرات المخزن الداخلية في حذر بالغ ، ومدافعهم الليزرية مشهورة في أيديهم ، وعيونهم تدور في كل ركن في توتر وتأهب وتحفز ، وقال القائد ، وهو يشير إلى باب داخلي محطم :

- لقد بلغ هذه النقطة ، وحطم مخزن مدافع الليزر .

هتف أحد جنوده :

- مخزن القنابل أيضًا محطم .

قال القائد في حيرة :

- ولكن أين ذهب ؟.. ها هوذا المكان كله يبدو أمامنا خاليًا ساكنًا ، لا أثر فيه لأي شخص ، آلي أو غير آلي .

دارت العيون في المكان مرة أخرى ، وبدا لهما بالفعل خاليًا ساكنًا ، ثم رفع أحدهم عينيه إلى أعلى بحركة غريزية ، ولم يكد يفعل حتى انتفض في شدة ..

كان الآلي ملتصقًا بالسقف ..

والكلمة هنا ليست مجرد صيغة مبالغة ، وإنما حقيقية ..

لقد كان يلتصق بالسقف بالفعل ، ويقف مقلوبًا ، معقود الساعدين أمام صدره المعدني القوي ، ورأسه ملقى إلى الخلف ، وعيناه المصنوعتان من آلتي تصوير الفيديو تحدقان في الجميع من أعلى ، في برود آلي مخيف ..

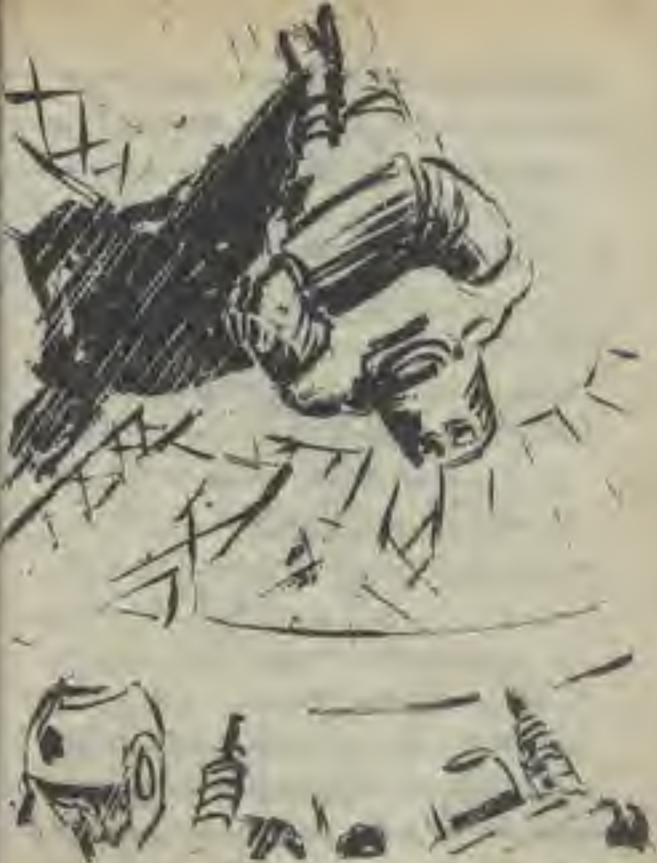

لقد كان يلتصق بالسقف بالفعل ، ويقف مقلوبًا ، معقود الساعدين أمام صدره المعدنى القوى ، ورأسه مثنى إلى الخلف ..

وصاح الرجل ، وهو يرفع فوهة مدفعه الليزرى إلى أعلى :

ـ ها هو ذا فوقنا .

ارتفعت كل الفوهات إلى أعلى .

ولكن الآلى انفصل عن السقف ، فى اللحظة نفسها ، وهوى على رءوس الجميع ..

وقبل أن ينطلق شعاع ليزرى واحد ، كانت القبضة المعدنية الفولاذية تشق عنق أحد الرجال الخمسة ، وتغوص فى معدة آخر ، فى حين تختطف القبضة الثانية مدفعًا ليزريًا ، وتحطمه بقوة رهيبة ..

وصاح القائد ، وهو يُطلق أشعة مدفعه على الآلى :

ـ قاتلوا يا رجال ... قاتلوا بكل قوتكم .

ولكن الآلى رفع ذراعه نحو جندى ثالث ، دون أن يبالى بالأشعة التى ارتطمت بصدره الآلى ، وارتدت فى عنف ، لتخترق جسد الجندى الرابع ، وتقتله على الفور ، ولوى عنق الجندى الثالث فى قوة ، لتصدر عنها فرقعة مخيفة ، فهتف الجندى الخامس :

ـ نحن نحتاج إلى نجدة أيها القائد .

رفع القائد جهاز اللاسلكى إلى فمه ، وصاح :

ـ لقد عثرنا عليه .. أرسلوا نجدة بسرعة .

لم يكد ينطق عبارته ، حتى انطلقت حزمة قوية من أشعة الليزر ، من ذراع الآلى ، ومزقت الجندى الخامس إربًا ، فصرخ القائد مرة ثانية :

- النجدة .. بسرعة .

ولكن الآلى أطلق حزمة أشعة أخرى ، سحقت القائد سحقًا ، وتردد صوتها عبر جهاز اللاسلكى ، فصاح (نور) :

- إنه يقتلهم بلا رحمة .

ثم انتزع مسدسه الليزرى ، وانطلق نحو المخزن بلا تردد ، فى حين صرخ الدكتور (ناظم) فى ارتياع :

- لا .. لا يا (نور) .. لا تواجهه وحدك .

ولكن (نور) اقتحم المخزن ، وركض عبر ممراته فى سرعة ، حتى بلغ صالته الكبيرة ، و ..

ووجد نفسه وجهًا لوجه ، أمام الآلى ..

وفى نفس اللحظة أطلق الآلى حزمة ضخمة من الأشعة نحو هدفه ..

حزمة ذات قوة تدمير رهيبة ..

وأصابت الحزمة هدفها ..

أصابته تمامًا .

* * *

٩ - من ؟! ..

استقبلت (نشوى) (رمزى) و (محمود) ، عند باب المنزل ، فى حرارة وحماس ، وهى تهتف :

- لقد توصلنا إلى حقيقة مدهشة ، بشأن الآلى .

انتزعت بعبارتها هذه اهتمام الاثنين ، فسألها (محمود) فى لهفة :

- ما هى بالضبط ؟

قادتهما فى انفعال إلى الكمبيوتر ، وهى تقول :

- إنه ليس آليًا .. إنه بشرى يرتدى درعًا يشبه الآليين .

هتف (رمزى) فى دهشة :

- بشرى ؟!

تطلع مع (محمود) إلى شاشة الكمبيوتر فى اهتمام شديد ، ثم قال :

- كيف أمكنك الجزم بهذا ؟

أشارت إلى العينين الكبيرتين ، قائلة :

- انظرا .. إنها عيون بشرية .

لم تكن تفاصيل المشهد واضحة تمامًا ، ولكن الأعين البشرية كانت مميزة ، إلى حد جعل (محمود) يقول :

ـ يا للمفاجأة !.. إذن فهو ليس آليًا .

أسرع (رمزى) يقول :

ـ على الأرجح .

سألته (سلوى) فى دهشة :

ـ ماذا تعنى بهذه العبارة ؟.. ألا ترى الصورة الواضحة ؟

قال (رمزى) فى لهجة حاسمة :

ـ كون عينيه لهما شكل بشرى ، لا يعنى أبدًا أنهما بشريتان ، فربما وضع صانعه تصميماته بحيث تبدوان هكذا ، لغرض فى نفسه .

تبادلت (سلوى) و (نشوى) نظرة صامتة ، قبل أن تقول (نشوى) فى إحباط مرير ، وأسف واضح :

ـ نعم .. هذا محتمل .

ابتسم (رمزى) فى حنان ، وهو يقول لها :

ـ إننا نسعى خلف الحقيقة ، لا خلف إرضاء بعضنا البعض .. أليس كذلك ؟

تضرّج وجهها بحمرة الخجل ، وهى تقول :

ـ بالتأكيد .

التقت عيناه بعينيها ، وانتقلت بينهما رسالة حب واضحة ، فازداد تضرّج وجهها بحمرة الخجل ، وخفضت عينيها فى هيام ، فى حين ابتسمت (سلوى) فى حنان ، وقالت فى صوت شديد الخفوت ، وكأنها تخشى إفساد تلك اللحظة الجميلة :

ـ ولكن هناك احتمال أن تكون عيونًا بشرية حقيقية ..

انتزع (رمزى) نفسه من الموقف ، وتنحنح قائلًا فى جدية :

ـ بالتأكيد .. إنه احتمال وارد .

ثم التفت متطلعًا إلى شاشة الكمبيوتر ، قبل أن يستطرد :

ـ ولكن هذا يضعنا أمام حيرة أخرى .

وأشار إلى الشاشة ، قائلًا :

ـ هذه الأعين لا تتناسب مع التكوين العام .

تطلّع الجميع إلى الشاشة فى حيرة ، قبل أن تسأل (نشوى) :

ـ أى تكوين عام ؟

أجابها (رمزى) :

ـ التكوين التشريحى .. لو أن هذه هى مساحة الوجه ، فالعينان تبدوان صغيرتين داخله ، أكثر مما ينبغى .

قالت (نشوى) فى حماس :

ـ إذن فهو رجل يرتدى قناعًا كبيرًا .

هزّ كتفيه ، قائلًا :

- ربما .

ثم استدرك فى سرعة :

- أو أنه نصف آلى .

سألته (سلوى) فى دهشة :

- ماذا تعنى بهذا ؟

اعتدل مجيبا فى اهتمام :

- إنه مشروع (سيبورج) ، الذى درس الأطباء إمكانيات تحويله إلى حقيقة ، فى النصف الثانى من القرن العشرين ، وهو عبارة عن إحلال أجزاء آلية ، محل بعض الأجهزة والأطراف البشرية ، مع إيصالها بالنهايات الطرفية العصبية الحية ، بحيث تتفاعل مع إشارات المخ ، وتعمل وكأنها أجزاء طبيعية ، مع فارق القوة والقدرة ، ويتم بعدها تغطيتها بنسيج جلدى صناعى ، فتبدو كما لو كانت أطرافًا حقيقية ، ولقد نفّذ العلماء جزءًا من هذا المشروع ، فى أوائل السبعينات من القرن العشرين ، وزرعوا بعض الأطراف الصناعية الآلية ، لعدد من مصابى الحرب ، ولكن التجارب لم تكتمل فى حينها ، بسبب نقص التمويل والإمكانات(*) .

قال (محمود) فى قلق :

(*) حقيقة .

- أتعنى أننا أمام أول شخص من البشر ، اكتمل معه مشروع (سيبورج) ، فأصبح مقاتلًا نصف آلى ، يجمع ما بين العقل البشرى المتطور ، والأطراف الصناعية المتينة ، والدروع المنيعة ، إلى جانب كل ما حصل عليه من أسلحة ؟

أومأ (رمزى) برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم .. هذا ما أعنيه بالضبط يا صديقى .

ثم استدرك فى سرعة :

- ولكن كل هذا احتمال وارد فحسب .

وعاد يلتفت إلى شاشة الكمبيوتر ، مستطردًا :

- مجرد احتمال ..

* * *

فى نفس اللحظة ، التى بلغ فيها (نور) صالة المخزن الرئيسية ، كان الآلى يطلق حزمة ضخمة من أشعة الليزر ، نحو هدفه ..

ومن حسن الحظ أن هذا الهدف لم يكن (نور) ..

كان سقف المخزن ..

وسمع (نور) من فوقه دويًا رهيبًا ، عندما أصابت حزمة الأشعة السقف ، وسحقته سحقًا ، حتى أن أحجاره تساقطت على

عينة غبار وحصى صغيرة ، رفع (نور) ذراعيه ليقى رأسه منها ..

وفى نفس اللحظة انطلق الآلى طائرًا ..

وهتف (نور) :

- قف أيها المجرم .

ورفع مسدسه الليزرى فى سرعة ، على الرغم من الغبار والحصى المتساقطة ، وراح يطلق أشعته نحو الآلى فى غزارة ..

ولكن الآلى عبر السقف فى سرعة مدهشة ، وتجاوز الفتحة التى صنعها فى مهارة ، ثم واصل طريقه فى السماء المظلمة ..

وسمع (نور) صراخ وهتاف فرق الأمن الخارجية ، ورأى خيوط وحزم أشعة الليزر تشق السماء ، وتتلاشى فى الهواء ، دون أن يصيب أى منها هدفه ، أو حتى يخدشه ..

لقد اختفى الآلى ..

اختفى تمامًا ..

واندفع عشرات من رجال الأمن داخل المخزن ، واتسعت عيونهم فى ذهول ، أمام جثث القتلى ، وآثار الدمار ، ولحق بهم الدكتور (ناظم) ، وهو يهتف :

- (نور) .. أأنت بخير ياولدى ؟

أجابه (نور) فى مرارة :

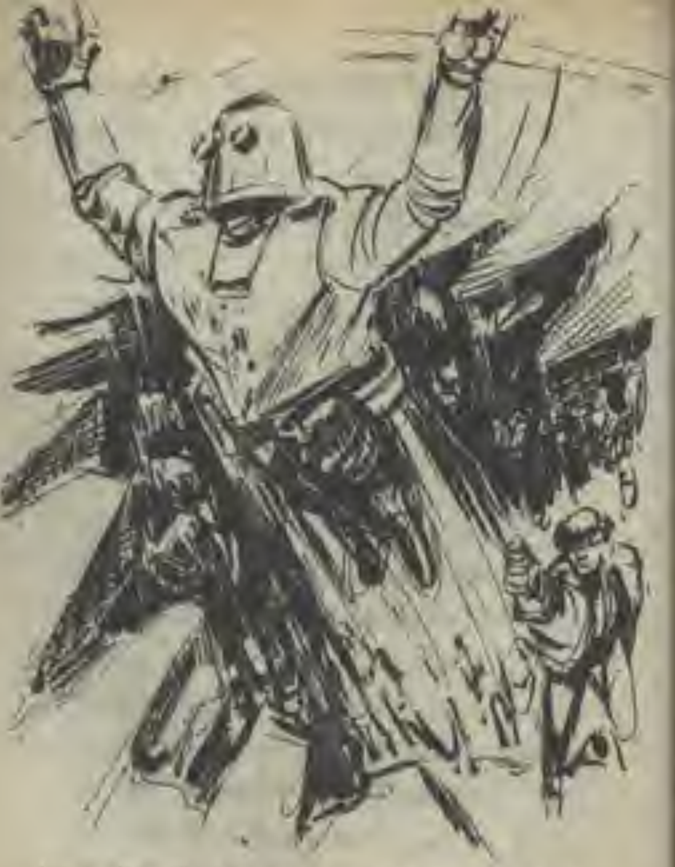

ولكن الآلى عبر السقف فى سرعة مدهشة ، وتجاوز الفتحة التى صنعها فى مهارة ، ثم واصل طريقه فى السماء المظلمة ..

- يدهشنى أن ظللت بخير ياسيدى ، مع كل ما حدث .. ذلك الوغد يقتل ويدمر ، دون أن يطرف له جفن .

قال الرجل فى دهشة :

- (نور) .. إنك تتحدث عن هذا الآلى ، كما لو كان مخلوقًا حيًا .

صمت (نور) لحظة ، ثم قال :

- ومن أدراك أنه ليس كذلك ياسيدى ؟

هتف الدكتور (ناظم) :

- أى قول هذا يا (نور) ؟.. هل تخفى شيئًا ؟!

قال (نور) ، متجاوزًا السؤال :

- إننى لم أتم تحرياتى بعد ياسيدى .

تطلع إليه الدكتور (ناظم) فى تساؤل حائر ، ولكن (نور) أعاد مسدسه الليزرى إلى غمده ، وهو يقول مستطردًا :

- معذرة ياسيدى .. سأنصرف لإتمام مهمتى .

استوقفه الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

- (نور) .. ما الذى توصلت إليه بالضبط ؟

بقى (نور) جامدًا لحظة ، ثم التفت إليه قائلاً :

- لم أتوصل إلى شىء بعد ياسيدى .. ليس بعد .

قال الدكتور (ناظم) :

- ولكنك رأيت الآلى وجهًا لوجه .

مط (نور) شفتيه ، وقال :

- لم يضف هذا جديدًا .

ثم انصرف فى خطوات سريعة ، مغادرًا المخزن ، والدكتور (ناظم) يتابعه ببصره فى قلق وحيرة ، قبل أن يقول لنفسه :

- هذا الفتى يخفى أمرًا ما ..

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

- أمرًا بالغ الخطورة .

وكان على حق ..

* * *

عندما عاد (نور) إلى منزله ، استقبله أفراد الفريق كلهم فى لهفة ، وروت له (نشوى) ما توصلت إليه ، وشرح له (رمزى) نظريته ، فاستمع إليهما فى اهتمام وصمت كاملين ، ثم تراجع فى مقعده ، وقال :

- كل ما قلتماه جيد ، ولكن أقوال (مشيرة) ستقلب كل فكرة فى رأسيكما رأسًا على عقب .

سألته (سلوى) فى لهفة :

- كيف ؟!

أجاب فى حزم :

- لقد رأت الآلى وجهًا لوجه .

غمغمت (نشوى) :

- وماذا بعد ؟

أكمل فى هدوء :

- وتعرّفته !!

هبّ (محمود) من مقعده متسع العينين ، واعتدل (رمزى) فى مجلسه بحركة حادة ، والتقى حاجبا (نشوى) فى شدة ، فى حين قالت (سلوى) فى دهشة :

- تعرّفته !!.. ماذا تعنى بهذا القول ؟

أجابها محاولًا إخفاء انفعالاته :

- عندما هاجم الآلى مقر شركة (ألبام الفيديو) ، كانت لدى (مشيرة) فرصة مثالية ، لتحدق فى وجهه وعينيه مباشرة . وهى تؤكد بهذا ما توصلت إليه (نشوى) ، من أن عيون الآلى كانت بشرية .. بشرية تمامًا .

هتفت (نشوى) فى ظفر :

- ألم أقل لكم ؟

تابع (نور) ، وكأنما لم يسمع تعليق ابنته :

- وعيون مألوفة لها .

حدق الجميع فى وجهه بدهشة ، قبل أن يقول (رمزى) :

- أتعنى يا (نور) أن عينى الآلى كانت لشخص تعرفه (مشيرة) ، حتى أنها تعرّفته على الفور .

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، فاستطرد (رمزى) فى انفعال :

- هذا هو تفسير متاعبها النفسية إذن !.. لقد تعرّفت ذلك الشخص ، الذى يتخفى فى زى الآلى ، ولم تشأ الإفصاح عن شخصيته لسبب ما .

وهتفت (سلوى) :

- هذا يحل اللغز كله يا (نور) .

هز (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

- على العكس يا رفاق .. إنه يزيد الأمر تعقيدًا ، فالشخص الذى تعرّفت (مشيرة) عينيه ، لا يمكنه علميًا وعمليًا أن يفعل كل ما فعله الآلى .. ببساطة لأنه شخص لا يغادر فراشه قط .

ارتجف صوت (نشوى) ، وهى تقول :

- أبى .. أخشى أن يكون الشخص الذى تقصده هو ..

لم تستطع إتمام عبارتها ، فأجاب هو :

- نعم يا ابنتى .. إنه نفس الشخص ، الذى يفترض رقوده فى غيبوبة عميقة .. إنه (أكرم) ..

وكانت الدهشة عارمة بحق .

* * *

١٠ ـ المستحيل ..

«(أكرم) !؟..»

هتفت الدكتورة (جيهان) بالاسم ، فى ذهول تام ، قبل أن تستطرد مستنكرة :

ـ أى قول أحمق سخيف هذا !؟.. (أكرم) يرقد فى حجرة العناية المركزة ، منذ إصابته بتلك الغيبوبة ، ولا يمكنه مغادرة الحجرة ، أو القيام بأى عمل آخر ، دون أن ينتبه طاقم التمريض كله لهذا .

قال (نور) فى هدوء :

ـ ولكن لدينا شهادة حاسمة ، تؤكد أنه هو نفسه ذلك الآلى ، الذى يقتل ويدمر كل ما حوله ، دون تردد أو تفكير .

قالت فى حدة :

ـ ومن الأحمق صاحب هذه الشهادة السخيفة ؟

أجابها فى حسم :

ـ (مشيرة) .. (مشيرة محفوظ) .. لقد تعرفت عينيه بنفسها .

ارتفع حاجبا (جيهان) فى دهشة ، ثم لم تلبث أن رددت :

ـ إذن فهذا هو السبب ، الذى أصابها بالحزن والاكتئاب ، عندما أتت لزيارة (أكرم) فى المرة الأخيرة .

ثم اعتدلت مستطردة ، وهى تواجه أفراد الفريق كلهم :

ـ حسنًا .. سأثبت لكم أن هذا مستحيل .

والتفتت إلى (مشيرة) ، قائلة :

ـ إذن فهذا سر توترك الزائد ، فى زيارتك السابقة له ؟

لم تنبس (مشيرة) بحرف واحد ، وإنما ازداد وجهها شحوبًا ، وأشاحت به فى صمت ، فهزت (جيهان) رأسها ، وقالت :

ـ حسنًا .. هيا بنا .

قادت الجميع عبر ممرات وأروقة المستشفى ، حتى حجرة العناية المركزة ، التى يرقد فى منتصفها (أكرم) ، وحوله كل الآلات والمعدات التكنولوجية ، التى تفحص كل أجهزة وتغيرات جسده طيلة الوقت ، وتطلع إليه الجميع فى حيرة ، من خلف النافذة الزجاجية السميكة ، التى تفصله عنهم ، ثم سأل (نور) :

ـ كيف يمكن التأكد من أنه غارق فى غيبوبة عميقة ؟

أشارت إلى الأجهزة ، قائلة :

ـ نفس السؤال الذى ألقته (مشيرة) من قبل .. والجواب هو

أن أى طبيب متخصص ، يمكنه التيقن من هذا ، من نظرة واحدة إلى ما ترسمه كل هذه الشاشات .

وتمتم (رمزى) من خلفه :

- هذا صحيح .

سأله (نور) :

- أنت واثق ؟

أومأ برأسه إيجابا ، وقال :

- لو تابعت كل ما ترسمه الشاشات مجتمعة ، لوجدته يسير فى نمط واحد ثابت ، بلا أية تغيرات أو انفعالات ، وهذا يعنى أن الشخص الذى نتصل به هذه الأجهزة ، غارق فى نوم عميق للغاية ، أو فى غيبوبة طويلة .

سأله محمود :

- وكيف يمكن التفرقة بين هذا وذاك ؟

أجابه (رمزى) :

- النائم يحلم حتما ، حتى ولو لم يتذكّر هو نفسه ما حلم به(*) ، وهذه الأحلام ستحدث تغيرات فى خطوط رسّام المخ الكهربى ، وهذا ما لا يحدث أبدا ، فى حالات الغيبوبة العميقة ، حيث لا أحلام أو انفعالات .

(*) حقيقة علمية .

أضاف جوابه مزيدا من الحيرة ، إلى عقولهم وقلوبهم ، وظلوا يتطلعون إلى (أكرم) لحظات ، من خلف النافذة الزجاجية السميكة ، حتّى قالت (جيهان) بضيق :

- أما يزال الشك راقدا فى أعماقكم ؟

تطلعوا إليها فى صمت حائر ، قبل أن يقول (نور) فى خفوت :

- إننا لم نحسم الأمر بعد .

غادر الجميع حجرة العناية المركّزة ، والصمت يغلف مسيرتهم تماما ، حتى عادوا إلى حجرة (جيهان) ، وهناك استقبلهم (هيثم) بجسده الضئيل النحيل ، وابتسامته الهادئة ، وهو يقول فى اهتمام :

- هل انتهيتم من مهمتكم ؟

أجابته (سلوى) :

- نعم .. أتعشم هذا .

ابتسم أكثر ، وهو يرمق (مشيرة) بنظرة جانبية ، قائلا :

- أراهن أن النتيجة جاءت سلبية .. أليس كذلك ؟

سأله (رمزى) بسرعة :

- ولماذا توقّعت هذا ؟

هز كتفيه ، قائلا :

- أنا طبيب نفسى .

أجابه (رمزى) ، فى شىء من الحدة :

- وأنا أيضًا ، وسيقلقنى حتمًا أن أفهم الأسباب ، التى استندت إليها لتكوين رأيك هذا !

تنحنح (هيثم) ، وعدل وضع منظاره الطبى كعادته ، وهو يقول :

- لقد تعرضت (مشيرة) لتجربة قاسية ، عندما هاجم ذلك الآلى شبكة (أنباء الفيديو) ، وكاد يقتلها ، ووقر فى أعماقها أنه يستطيع القضاء عليها تمامًا ، لو أرشدت الآخرين إليه ، ولكنها فى الوقت ذاته لا تستطيع كتمان ما لديها ، ما دام من الممكن أن يفيد فى إلقاء المزيد من الضوء ، على شخصية الآلى وصانعيه ، فما الذى يمكنها أن تفعله ، إزاء هذه المشكلة ؟.. إن عقلها الباطن يبتكر فكرة عجيبة ، ويقنعها بصحتها .. وهذه الفكرة هى أن ذلك الآلى فى حقيقته شخص بشرى ، تشعر نحوه بانتماء شديد ، وهذا الشخص هو (أكرم) .. أقرب الناس إليها ، وفى هذه الحالة يكون من الطبيعى أن تخفى أمره ، ويستكين عقلها الواعى لهذا التفسير ، فتحتفظ بسر حبيبها ، ويهدأ ضميرها فى الوقت ذاته .

قال (رمزى) على الفور :

- تفسير أنيق وظريف أيها الزميل ، ولكنه يفتقر إلى الواقعية والدقة ، فلو أن ما تقوله صحيحًا ، فلماذا شحبت (مشيرة) وتوترت ، وأصيبت أعصابها بكل هذا الانهيار ، ما دام عقلها الباطن قد أوجد خطًا دفاعيًا منطقيًا ؟!

رفع (هيثم) سبابته أمام وجهه ، وهو يقول :

- هذا لأن العقل الباطن لم ..

قاطعته (مشيرة) فى عصبية :

- كلا .. ليس من حقكما وصف مشاعرى وأحاسيسى ، دون الرجوع إلىّ .. ليس هذا من حقكما .

ثم انخرطت فى بكاء حار ، فران على الجميع وجوم وسكون ، وهم يتبادلون نظرات آسفة ، قبل أن يغمغم (هيثم) :

- إننى أعتذر .

هتفت من وسط دموعها :

- كلاكما على خطأ .. لقد رأيت عينىّ (أكرم) بنفسى .. أقسم ألف ألف مرة على هذا ..

لست أدرى كيف حدث هذا ، ولا كيف يخرج (أكرم) من غيبوبته ، ويحتل ذلك الجسد الآلى .. ولكن من رأيته كان (أكرم) حتمًا .

تمتم (نور) مشفقًا :

- ولكن يا (مشيرة) لا يوجد دليل واحد على هذا ، ولا على ..

قاطعته صائحة :

- من قال إنه لا يوجد دليل واحد ؟.. إنكم فقط لم تحاولوا التفكير جيدًا .. هناك دليل قوى يؤكد أقوالى .

سألتها (سلوى) :

- وما هو ؟

أجابت فى حسم :

- إنه لم يقتلنى .

تطلع إليها الجميع فى دهشة ، فأضافت فى انفعال :

- لم يقتلنى لأنه (أكرم) ، ولأنه يحبنى .. هل رأيتم فى حياتكم كلها مجرمًا ، مهما بلغت قسوته ووحشيته ، يقدم على قتل محبوبته ؟!

تفجّر قولها هذا فى رءوس ووجوه وأعماق الجميع ، وأعاد الشك دفعة واحدة ، فى أن يكون هناك سر خفى ، وراء تحوّل (أكرم) إلى ذلك الآلى ، حتى هتفت (جيهان) فى توتر :

- كلا يا (مشيرة) .. هذا ليس دليلا .. إنه مجرّد قرينة ، قد تؤيّد هذا الاحتمال ، أو تشير إلى احتمال آخر ، ولكن من المستحيل إقناعى بأن (أكرم) ليس غارقًا فى غيبوبة عميقة ..

صاحت (مشيرة) فى ثورة :

- خطأ .. كل هذا مجرّد خطأ .. خطأ .

أسرع الدكتور (هيثم) يلتقط محقنًا ، وهو يقول :

- ستصاب بانهيار عصبى آخر .

ثم اندفع نحوها ، وغرس إبرة المحقن فى ذراعها ، فصرخت :

- لا .. لا تفعل هذا .

ولكنه دفع السائل المهدّئ فى ذراعها ، وهو يقول :

- معذرة ، ولكن هذا ضرورى .

قاومته فى عنف ، وانتزعت إبرة المحقن من ذراعها ، فقال (رمزى) ، محاولا تهدئتها :

- هذا لمصلحتك يا (مشيرة) .. صدقينى .

صرخت :

- لا شأن لكم بى .. ابتعدوا عنى .. ابتعدوا .

ولكن المهدئ القوى جعلها تترنّح ، وهى تلوّح بيدها ، وصوتها يخفت تدريجيًا :

- ابتعدوا عنى .

أسرع (رمزى) يتلقاها بين ذراعيه ، ويرقدها على منضدة الفحص فى رفق ، ولم تستطع (نشوى) إخفاء حيرتها ، وهى تغمغم :

- هل فقدت وعيها ؟

أجابها (رمزى) بإيماءة من رأسه ، فى حين قال (هيثم) متعاطفًا :

- مسكينة .. إنها تحتاج إلى رعاية نفسية مكثفة .

ثم رفع عينيه إليهم ، مستطردًا :

- إننى أقترح أن تبقى هنا فى المستشفى ، ليوم أو يومين ، تحت الملاحظة .. سأتابع حالتها بنفسى .

قال (نور) :

- يبدو أنه ليس لدينا سوى الموافقة .

قالها وشرد ذهنه وبصره بعيدًا ، وهو يسأل نفسه ذلك السؤال المقلق ..

أهناك سر حقًا ، خلف (أكرم) ؟!..

هل يغرق بالفعل فى غيبوبة عميقة ؟!

وبقيت أسئلته كلها دون جواب ..

* * *

استمع القائد الأعلى إلى (نور) فى اهتمام بالغ ، وهو يروى كل ما لديه ، ثم تبادل نظرة طويلة مع الدكتور (ناظم) ، قبل أن يسأل (نور) :

- وما تفسيرك لكل هذا ؟

أجابه (نور) :

- لم أصل إلى تفسير منطقى بعد يا سيدى ، فحالات الغيبوبة هذه ما تزال تمر بمرحلة من الغموض ، لا تفسير لها فى الوقت الحالى ، والعلامات الطبية تقول :

إنه من كل عشرين حالة ، يمكن لحالة واحدة أن تستعيد وعيها فجأة ، دون سابق إنذار ، ودون سبب علمى معروف ، فى حين تبقى الحالات التسع عشرة الأخرى فى غيبوبتها ، حتى تحين منيتها(*) ، ولكن كل التقارير الطبية ، الخاصة بـ(أكرم) ، تؤكد أنه ما يزال فى غيبوبته ، ولم يستيقظ منها بعد ، وهذا يرجح منطق (هيثم) ، فى أن يكون كل ما قالته (مشيرة) مجرد وهم ، خلقه عقلها الباطن ، دون أدنى أساس من الصحة .

تبادل الدكتور (ناظم) نظرة أخرى مع القائد الأعلى ، ثم قال :

- وهل راجعت نتائج التحقيقات كلها ، قبل أن تدلى بهذا الرأى ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم يا سيدى .. قرأت أقوال العلماء الثلاثة ، وشاهدت الشريط المسجل لاستجوابهم ، كما طالعت نتائج جهاز كشف الكذب ، ولم يضف هذا جديدًا للموقف ، وإنما زاد من غموضه .

قال الدكتور (ناظم) :

- ولكن لدى هنا معلومة بالغة الأهمية ، قد تقلب تفكيرك كله رأسًا على عقب .

سأله (نور) فى اهتمام :

(*) حقيقة علمية .

- ما هى ؟

التقط الدكتور (ناظم) ورقة صغيرة ، من طابعة الليزر ، الملحقة بكمبيوتر القائد الأعلى ، وقال :

- لقد طلبت من الكمبيوتر تقريرًا عامًا ، عن حالة (أكرم) ، منذ وصل إلى المستشفى لأوّل مرة ، متضمنًا كل ما أجرى له من جراحات وعلاجات ، وكل ما صُرف من أجله ، من المخازن الطبية ، وهذا ما خرج به الكمبيوتر .

التقط (نور) الورقة بدوره ، وطالعها فى اهتمام بالغ ، حتى توقف عند نقطة خاصة منها ، وارتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يهتف :

- يا إلهى !.. متى حدث هذا ؟

قال الدكتور (ناظم) ، وهو يشير إلى الورقة :

- بعد أسبوع واحد من دخوله المستشفى كما ترى ، وستجد لديك اسم الشخص ، الذى تقدّم بالطلب .

التقى حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يطالع الورقة ، ثم اعتدل قائلًا فى حزم :

- صدقت ياسيّدى .. هذه المعلومة تقلب الأمور كلها .

وازداد التقاء حاجبيه ، مع استطرادته :

- تقلبها رأسًا على عقب ..

* * *

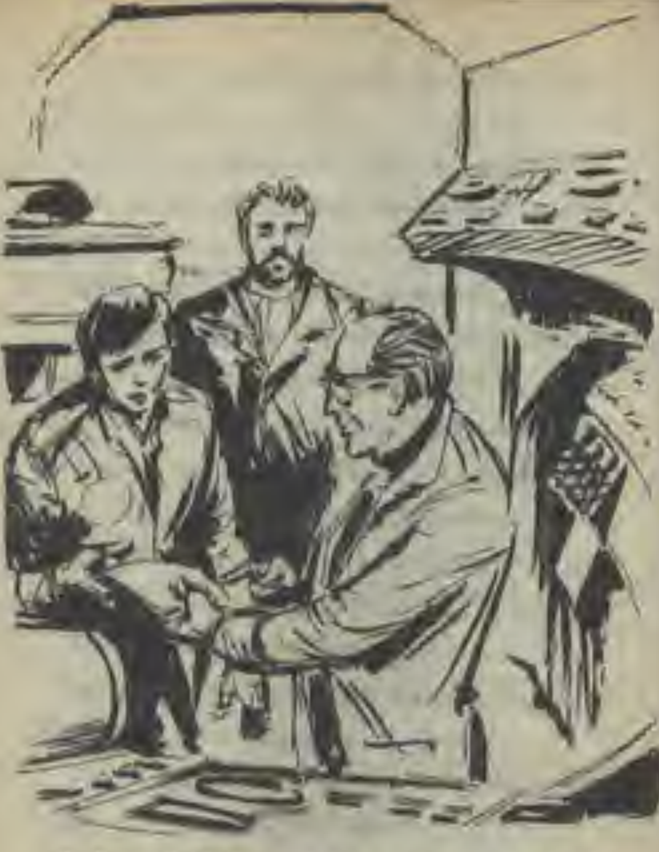

التقط الدكتور (ناظم) ورقة صغيرة .. من طابعة الليزر ، الملحقة بكمبيوتر القائد الأعلى .

استيقظت (سلوى) شديدة الإرهاق ، فى الصباح التالى ، وتثاءبت فى تهالك ، وهى تقول :

- كأننى لم أنم لحظة واحدة .. يالهذه الكوابيس اللعينة .

ألقت نظرة على الفراش الخالى ، ثم مطت شفتيها ، مستطردة فى أسى :

- كيف يحتمل (نور) العمل طوال الوقت ، على هذا النحو ؟

كانت تشعر بشفقة كبيرة تجاه زوجها ، الذى لم يذق طعم النوم ، خلال يومين متتاليين ، عمل فيهما دون توقف ، وواجه عشرات المواقف ، التى يشيب لهولها الولدان ، ولكنها كانت تدرك طبيعته ، التي لا تهدأ أو تستقر أبدًا ، إلا عندما يتوصّل إلى شيء ما ، يكشف غموض اللغز الذى يقلق عقله ونفسه ..

وفى أسف ، غادرت فراشها ، واتجهت إلى حجرة (نشوى) ، ولم تكد تدخلها حتى هتفت فى دهشة :

- متى استيقظت ؟!.. إنها السادسة فحسب .

أجابتها (نشوى) ، وهى تعمل بأصابعها على أزرار الكمبيوتر ، فى اهتمام بالغ :

- صباح الخير يا أماه .. إننى لم أستيقظ ؛ لأننى - وبكل بساطة - لم أنم بعد .. إننى أعمل طيلة الليل .

هتفت (سلوى) :

- لماذا ؟!.. هل ورثت هذا عن أبيك ؟

ابتسمت (نشوى) قائلة :

- ربما .. سيكون هذا من دواعى فخرى .

ثم استعادت جديتها ، وهى تستطرد :

- ولكننى فى الواقع أعمل طيلة الليل ، فى محاولات مستمرة لتحسين الصورة المكبّرة ، التى لدينا ، والتى تبدو فيها عينا ذلك الآلى . فأنا أعتقد أن العينين لا تشبهان عينى (أكرم) بالفعل .

سألتها أمها :

- وما الذى توصّلت إليه ؟

تنهّدت (نشوى) قائلة :

- لا فائدة .. لا يمكن الحصول على تأكيد تام ، بفعل هذا التكبير ، فبالإضافة إلى عدم وضوح التفاصيل ، نجد أيضًا أن الزاوية التى نراها لوجه الآلى ، تلقى الكثير من الظلال ، وتطمس البقية الباقية من التفاصيل .. صحيح أن الصورة تكفى لتمييز العينين البشريتين ، ولكن دون تفاصيل واضحة ، تكفى لتعرّف صاحبها .

هزت (سلوى) رأسها ، وقالت :

- ولماذا بذلت كل هذا الجهد ؟

أجابتها (نشوى) :

- لأننى واثقة من أن هذا الآلى ليس (أكرم) .. لقد شاهدته بنفسك فاقد الوعى .

أطلقت (سلوى) تنهيدة كبيرة ، وهى تستلقى على فراش ابنتها ، قائلة :

- لم أعد أثق بأى شىء يا (نشوى) .. لم أعد أثق حتى بما أراه بأم عينى .

قالت (نشوى) معترضة :

- ولكن أطباء المستشفى يؤكدون أن كل شىء يسير على ما يرام ، وبنسق ثابت منتظم ، و ...

بترت عبارتها بغتة ، وانعقد حاجباها فى شدة ، فسألتها (سلوى) :

- ماذا حدث ؟! .. هل توصلت إلى شىء ؟

هتفت (نشوى) :

- بالتأكيد يا أماه .. لقد توصلت إلى حقيقة ، قد تقلب الأمر كله رأسا على عقب ، وارتجت حروف كلماتها بانفعال جارف ، وهى تضيف :

- وسنكشف السر .. سر الآلى الزائف .

وانتقل انفعالها إلى (سلوى) .

* * *

١١ ـ فى كل اتجاه ..

شعر (محمود) بدهشة حقيقية ، وهو يستقبل (رمزى) ، فى الصباح الباكر ، ولكن هذا لم يمنعه من مصافحته بكل ود وحرارة ، وهو يسأله :

- هل عجزت عن النوم ؟

أومأ (رمزى) برأسه إيجابا ، وقال :

- هناك أمر ما يشغلنى فى شدة .

سأله فى اهتمام ، وهو يقوده إلى أريكة قريبة :

- وما هو ؟

لم يستجب (رمزى) له ، وإنما راح يسير فى الحجرة فى توتر ملحوظ ، قبل أن يقول فى انفعال :

- لقد راجعت الموقف كله عشر مرات ، منذ غادرنا المستشفى أمس ، وأكاد أقسم أن (مشيرة) تؤمن تماما بكل حرف نطقت به .

سأله (محمود) فى دهشة :

- أتعنى أنها رأت (أكرم) بالفعل ، داخل زى الآلى ؟!

أجابه (رمزى) :

- تماما .. لقد رأت عينى (أكرم) ، أو أنها واثقة من هذا .

سأله (محمود) فى حيرة :

- وما الفارق ؟

أجابه (رمزى) فى توتر :

- فارق ضخم ياصديقى .

ثم أضاف فى انفعال :

- المهم أن هذا قد يدين (أكرم) ، على الرغم من ثقة الجميع ، فى سقوطه فى غيبوبة عميقة .

هتف (محمود) :

- أقسم إننى لم أعد أفهم شيئا .

تنهد (رمزى) ، قائلا :

- ومن يفهم ياصديقى ؟

حدق (محمود) فى وجه صديقه بحيرة ، وهمّ بقول شىء ما ، لولا أن ارتفع رنين هاتف الفيديو فجأة ، فالتقط (محمود) سماعته فى حركة غريزية ، وتطلع إلى شاشته والتى تحمل وجه (نشوى) ، وقال :

- صباح الخير يا (نشوى) .. هل استيقظتم جميعًا مبكرًا هذا الصباح ؟

أدهشه أنها لم تجب سؤاله ، وإنما سألته فى لهفة :

- أين (رمزى) ؟.. لقد اتصلت به ، ولكن هاتفه أحالنى إليك .

أجابها فى حيرة :

- ها هو ذا .

التقط منه (رمزى) سماعة هاتف الفيديو ، وهو يقول :

- هأنذا يا (نشوى) ... ماذا لديك ؟

أجابته بسرعة :

- من حسن حظى أن وجدتك يا (رمزى) ، فلقد توصلت إلى نظرية جديدة ، بشأن قضية (أكرم) .

سألها فى لهفة :

- ما هى بالضبط ؟

أجابته :

- الأمر كله مجرّد خدعة يا (رمزى) .. خدعة كبيرة ، سقطنا فيها جميعًا ..

سألها فى دهشة :

- ومن صاحب هذه الخدعة ؟ وما هى بالضبط ؟

لم تكد تخبره بما لديها ، حتى اتسعت عيناه فى دهشة بالغة وهتف :

- أأنت واثقة من هذا يا (نشوى) ؟

أجابته في حرارة :

- إنه التفسير الوحيد ، ويمكننا التأكد منه بوسيلة بسيطة للغاية .

سألها (محمود) :

- ما هي ؟

أجابت في حزم :

- زيارة .. زيارة واحدة لحجرة العناية المركزة ، حيث يرقد (أكرم) .

وتضاعف الحزم في نبراتها ، وهي تستطرد :

- زيارة غير رسمية ..

* * *

نهضت الدكتورة (جيهان) تستقبل (نور) في حجرتها ، وهي تمد يدها لمصافحته ، قائلة في ضجر :

- مرحبًا أيها الرائد .. هل تذكرت شيئًا بعد انصرافك ؟

أجابها في برود :

- بل عثرت على شيء أكثر أهمية .

سألته في دهشة :

- أي شيء هذا ؟

أجابها وهو يدرس ملامحها وانفعالاتها بدقة :

- مشروع .. مشروع قديم ، راودتك الرغبة في إحيائه ، عندما أشرفت على علاج (أكرم) .

تطلعت في وجهه مرة أخرى ، وهي تقول في اضطراب :

- أي مشروع هذا ؟

أجاب في صرامة :

- مشروع (سيبورج) .

تراجعت في دهشة ، وهي تردد :

- مشروع (سيبورج) ؟! .. وما الذي ذكرك بهذا ؟ .. إنه مشروع قديم لم يكتمل ، و ...

قاطعها في حزم :

- معذرة يا دكتورة (جيهان) ، ولكن المشروع لم يعد قديمًا ، بعد أن قررت أنت استخدامه مرة أخرى ، كمحاولة لإعادة (أكرم) إلى وعيه .

ارتبكت في شدة ، وهي تقول :

- هذا صحيح ، ولكن ..

قاطعها مرة أخرى :

- ولكن ماذا ؟ .. لقد عرضت الأمر على الإدارة الطبية العليا ، منذ شهرين مضيا ، ولما لم يكن هناك أقارب لـ(أكرم) ، يتحتم

الحصول على موافقتهم ، كما كانت الغيبوبة التى أصابته شديدة العمق ، لا يحتمل معها عودته مرة أخرى إلى وعيه ، بالوسائل العادية ، فقد أرسلت الإدارة الطبية العليا موافقتها على إحياء مشروع (سيبورج) ، بعد عشرة أيام فحسب ، ومن هذا المنطلق أرسلت أنت طلبًا إلى المخازن الإلكترونية ، للحصول على كل المعدات اللازمة .

هتفت (جيهان) :

- ولكنهم لم يرسلوا شيئًا .

قال فى حزم :

- خطأ يا سيدتى .. لن يفيد الكذب والإنكار الآن ، فالأوراق الرسمية كلها تؤكد أن كل ما طلبته وصل بالفعل إلى مخازن المستشفى ، منذ شهرين ونصف الشهر ، و ..

قاطعته صارخة :

- كذب .. الإدارة لم ترسل شيئًا .

قال (نور) فى حدة :

- بل أرسلت ، وأنت استغللت ما أرسلته ، لتحويل (أكرم) إلى شخص نصف آلى ، يخضع لأوامرك ، ويقوم بتنفيذ مخطط خاص ، يحقق أغراضك الشخصية ، دون أن يعى ما يفعل .

صاحت (جيهان) :

- أنت مجنون .. مجنون حتمًا .. أتدرك ما يعنيه مشروع (سيبورج) هذا ؟.. أتظن أنه من السهل أن أعمل على تنفيذه ، دون فريق طبى كامل متكامل ، وإعداد طويل ، وإمكانيات جراحية رهيبة ؟.. إنها ليست لعبة أيها الرائد ، بل معجزة جراحية كاملة .. ألا تفهم كيف يمكن تحويل بشرى إلى شخص نصف آلى ؟!.. هذا يحتاج إلى إخصائى فى جراحة الأعصاب ، وآخر فى جراحة العظام ، وثالث لجراحات التجميل ، ومهندس طبى متخصص ، ورعاية كاملة لعام على الأقل .. كيف تصورت أننى أستطيع صنع كل هذا بمفردى ؟!

تهشمت مشاعر (نور) كلها دفعة واحدة ، أمام قولها هذا ..

كانت على حق فى كل حرف نطقت به ..

إنها لا تستطيع بالفعل صنع كل هذا وحدها ..

كيف لم يفكر فى هذا ؟!..

لقد جرفته مشاعره وانفعالاته ، دون أن يدرس موقفه جيدًا ..

كيف سقط فى هذا ؟!..

كيف أخطأ إلى هذا الحد ؟!..

ولكن أين ذهبت أدوات مشروع (سيبورج) ؟

نقل هذا السؤال مباشرة ، من عقله إلى لسانه ، فهتفت الدكتورة (جيهان) فى حنق ..

- ومن أدرانى ؟!.. سل من يهمه الأمر .

التقى حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

- أنت على حق .

وغادر حجرتها فى حدة ، واندفع عبر ممرات المستشفى إلى المخازن ، وأبرز بطاقته الخاصة لمديرها (وليد سالم) ، وهو يقول :

- أنا الرائد (نور الدين محمود) ، من المخابرات العلمية .. أريد الاطلاع على رصيد المخازن ، من بعض الأدوات التعويضية الإليكترونية الخاصة .

رمقه (وليد) بنظرة جافة باردة ، وهو يقول :

- هذا يحتاج إلى تصريح خاص .

أشار (نور) إلى هاتف الفيديو المجاور للرجل ، وهو يقول :

- اطلبه إذن .

ابتسم (وليد) فى سخرية ، وقال :

- أتظن الأمر سهلاً إلى هذا الحد ؟

التقط (نور) سماعة الهاتف ، وهو يقول فى صرامة :

- نعم .. أظنه كذلك .

استعاد (وليد) سماعة الهاتف فى حدة ، وهو يقول :

- ما الذى تريد مراجعته بالضبط ؟

أجابه (نور) :

- أدوات مشروع (سيبورج) .

جمدت نظرات الرجل بغتة ، وبدا فى بروده أشبه برجل آلى ، وهو يجيب :

- ليس لدينا شىء بهذا الإسم .

قال (نور) فى برود أشد :

- حقًا ؟!

ثم ضرب أزرار الكمبيوتر فى سرعة ، و(وليد) يهتف به :

- ماذا تفعل ؟!.. ليس هذا من حقك .

ولكن (نور) كان قد انتهى من تحديد الرقم الكودى للمشروع ، قبل أن يبعد (وليد) يده عن لوحة الأزرار ، وارتسمت على الشاشة الليزرية فى سرعة كلمات تقول :

- أدوات المشروع تم صرفها بالكامل .. رصيد مشروع (سيبورج) يساوى صفرًا .

التفت (نور) إلى (وليد) ، وقال فى صرامة :

- أين ذهبت أدوات المشروع يا رجل ؟

عادت نظرات (وليد) تتجمد ، وهو يقول :

- سأخبرك ، مادمت ترغب فى معرفة هذا .

رآه (نور) يدس يده فى درج مكتبه ، فتراجع فى حركة حادة ،

وانتزع مسدسه الليزرى ، فى نفس اللحظة التى التقط فيها (وليد) مسدسه الليزرى بدوره ..

وكان (نور) هو الأسبق ، فى إطلاق أشعة مسدسه ..

وطار المسدس من يد (وليد) ..

ولكن الرجل تحوّل فجأة إلى وحش كاسر ، وهو يصرخ :

- ستموت .. ستموت .

وقفز عبر مكتبه قفزة مدهشة ، ثم انقضّ على (نور) فى شراسة مخيفة ..

وكان من الممكن أن يقتله (نور) بطلقة واحدة ، من مسدسه الليزرى .

ولكن من المستحيل أن يفعل (نور) هذا ..

من المستحيل أن يقتل رجلاً أعزل ..

وبرشاقة كبيرة ، قفز (نور) جانبًا ، وتفادى انقضاضة (وليد) ، ثم كال لهذا الأخير لكمة كالقنبلة ، وهو يهتف :

- لقد كشفت أمرك يا صاح .

أصابت اللكمة فك (وليد) مباشرة ، وألقته على ظهره فى عنف ، ولكنه هبّ واقفًا فى حركة سريعة ، وتجمّدت عيناه على نحو مخيف ، وهو يكرّر :

- ستموت .. ستموت .

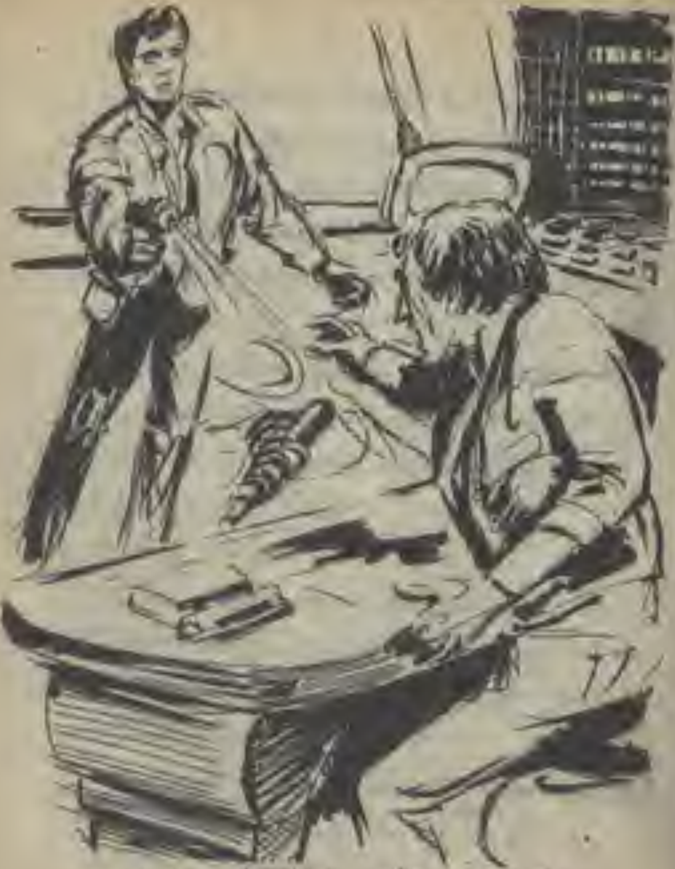

وكان (نور) هو الأسبق ، فى إطلاق أشعة مسدسه
وطار المسدس من يد (وليد)

وبحركة عنيفة مباغتة ، ركل المسدس الليزرى من يد (نور) ، ثم جذب هذا الأخير من قميصه ، وضرب ظهره بالحائط فى قوة ..

كان قويًا ، ممشوقًا ، مفتول العضلات ، وكان يقاتل فى وحشية وشراسة عجيبتين .. مما جعل (نور) يدافع عن نفسه فى استماتة ، محاولاً الدفاع عن حياته ، فدفع ركبته فى معدة (وليد) ، صائحًا :

- لا فائدة من كل هذا يا رجل .. استسلم ، فهذا أفضل لك .

تلقى (وليد) الضربة فى معدته ، وانثنى لحظة ، ثم اعتدل فى سرعة ، وعاد يجذب (نور) إليه ، ويضربه بالحائط فى سرعة وعنف ، مكررًا الكلمة نفسها :

- ستموت .. ستموت .

كان مظهره أقرب إلى الوحش الكاسر بالفعل ، والزبد يسيل على شدقيه ، وعيناه تدوران فى محجريهما فى جنون ، فكال له (نور) لكمتين متتاليتين فى معدته ، وثالثة فى فكه ، صائحًا :

- هل جننت يا رجل ؟

أطلق (وليد) صيحة وحشية ، وهو يدور حول نفسه ، ويرفع (نور) عن الأرض فى قوة ، ثم يلقيه بعيدًا فى عنف ..

وارتطم (نور) بمكتب (وليد) ، وسقط مع جهاز الكمبيوتر

أرضًا ، وانفجرت الشاشة فى دوى عنيف ، فى حين انقض (وليد) عليه مرة أخرى ، وهو يصرخ فى لهجة أشد جنونًا :

- ستموت .. ستموت .

ثم رفع (نور) من الأرض فى عنف ، وألقاه مرة أخرى على الحائط ، وشعر (نور) بآلام مبرحة فى عظامه ، من أثر الارتطام الشديد ، ورأى (وليد) يندفع نحوه مرة أخرى ، فقفز جانبًا ، وهو يهتف :

- لقد جننت حتمًا .

ثم هب واقفًا على قدميه ، ولكم (وليد) لكمة عنيفة ، تلقاها الرجل كجدار من صخر ، ثم هوى بقبضته على (نور) ، فى لكمة كالقنبلة .. جعلت (نور) يرتطم بالمكتب مرة أخرى ، ثم يسقط بين أسلاك الكمبيوتر المحطم ..

وفى هذه المرة اشتبكت ثياب (نور) بالأسلاك ، ورأى (وليد) ينحنى ليلتقط مسدسه الليزرى ، ثم يصوبه إليه بعينين زائغتين ، ولم يسيل منه زبد وحشى ، وهو يقول فى شراسة جنونية :

- ستموت .. ستموت ..

ولم يكن هناك مفر هذه المرة ..

* * *

١٢ ـ غيبوبة ..

تسلل (رمزى) و(محمود) مع (نشوى) ، عبر أروقة المستشفى ، إلى حجرة العناية المركّزة ، وهمس (محمود) فى توتر ، وهو يقترب من باب الحجرة ، المزوّد برتاج أمن إليكترونى :

ـ كيف سيمكننا عبور هذا الباب ؟.. الأطباء وطاقم التمريض وحدهم يمكنهم هذا ، بوساطة بطاقاتهم المغنطيسية .

أخرجت (نشوى) من جيبها بطاقة مغنطيسية صغيرة ، تتصل بكمبيوتر جيب دقيق ، وهى تقول :

ـ لقد وجدت وسيلة لهذا .

ودسّت البطاقة فى التجويف الخاص ، ثم ضغطت أزرار كمبيوتر الجيب فى سرعة ، وراقبت الباب فى قلق . فسألها (رمزى) :

ـ هل يمكن أن ينجح هذا ؟

هزّت رأسها إيجابًا ، وقالت :

ـ إنه برنامج ، يجرى مجموعة من العمليات الحسابية

الدقيقة ، فى محاولة التوصّل إلى الشفرة المغنطيسية الخاصة ، التى يمكنها فتح الباب .

مضت لحظات من الصمت والقلق والتوتر ، ثم أصدر الرتاج صوتًا مكتومًا ، وانفتح الباب فى خفوت .. فدفعته (نشوى) بسرعة ، ودلفت مع (رمزى) و(محمود) إلى الداخل ، وأغلق (رمزى) الباب خلفه ، وهو يلقى نظرة سريعة على (أكرم) ، من خلف النافذة الزجاجية السميكة ، قبل أن يغمغم :

ـ كيف يمكن تصديق أن هذا الرجل ليس غارقًا فى غيبوبة حقيقية ؟!

قالت (نشوى) ، وهى تفتح باب الحجرة المجاورة ، حيث أجهزة التحكّم فى قياسات النبض والضغط والحرارة ، وإشارات المخ وغيرها ، ثم أخرجت جهاز الكمبيوتر الصغير ، وانهمكت فى توصيله بالكمبيوتر الرئيسى ، و(محمود) يلقى بدوره نظرة طويلة على (أكرم) ، من النافذة الأخرى ، ثم قال :

ـ عجبًا !.. كل شىء يبدو لى على ما يرام ، وسيدهشنى بشدة أن يكون هذا الشاب مستيقظًا !

قال (رمزى) :

ـ ما يقلقنى أنا يختلف ، فلو أثبتت (نشوى) نظريتها ، واتضح أن (أكرم) هو ذلك الآلى بالفعل ، فسيقودنا هذا إلى نقطة

أخرى ، بالغة الدقة والخطورة ، إذ ينبغى أن نعلم ما إذا كان (أكرم) يفعل هذا بإرادته ، أم أن شخصًا ما يسيطر على إرادته ، ويدفعه إلى القيام بهذا ، على الرغم منه ؟

سأله (محمود) فى قلق :

- ومن يكون هذا الشخص ؟

هز (رمزى) كتفيه ، وقال :

- من يدرى ؟

هتفت (نشوى) فجأة ، منتزعة إياهما من حديثهما :

- لقد كنت على حق .

التفتا إليها فى لهفة ، فأضافت :

- كل هذه الإشارات ، التى تسجلها الأجهزة ، زائفة ، ولا أساس لها من الصحة .. لقد أوصل أحدهم كل الأجهزة مع الكمبيوتر الرئيسى ، ببرنامج خاص ، يحافظ على الإشارات وانتظامها ، بحيث يبدو (أكرم) كما لو كان غارقًا فى غيبوبة عميقة ، حتى ولو لم يكن كذلك بالفعل .

هتف (رمزى) :

- رباه .. إذن فالآلى هو (أكرم) بالفعل ، ولكن كيف يـ ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدق عبر النافذة الزجاجية السميكة ، فى فراش (أكرم) ، فرفع (محمود) و (نشوى) عيونهما إلى حيث

ينظر ، وأطلقت (نشوى) شهقة قوية ، فى حين شحب وجه (محمود) ، وهو يهتف :

- يا إلهى !..

كان المشهد أمامهما يستحق كل هذا بالفعل ، فقد كان كل شىء بالحجرة كما هو ، والآلات كلها تعمل فى انتظام ، والشاشات ترسم نفس الخطوط الثابتة باستثناء شىء واحد بالغ الأهمية ..

(أكرم) نفسه ..

لم يكن يرقد على الفراش ..

ولم يكن له أدنى أثر فى الحجرة كلها ..

مطلقًا ..

* * *

زفر الدكتور (ناظم) فى مرارة ، وهو يراجع بعض البيانات ، التى ارتسمت على شاشة الكمبيوتر ، وقال فى أسف :

- ها هى ذى قائمة الأشياء ، التى سرقها ذلك الآلى ، من الأماكن المختلفة التى هاجمها .

غمغم القائد الأعلى

- لقد سرق الكثير .

أومأ الدكتور (ناظم) برأسه موافقًا ، وقال :

- أخطر ما حصل عليه هو مدافع الليزر الصغيرة ، ذات القوة التدميرية الهائلة ، وقنابل الدخان ، و ...

ازدرد لعابه فى صعوبة ، قبل أن يستطرد بصوت مرتجف :

- والقنبلة النووية .

زفر القائد الأعلى ، وهو يقول :

- لست أدرى كيف علم بوجودها .. لقد كنا نحتفظ بها فى مخزن الأسلحة التقليدية ، داخل حجرة المظلات ، فى محاولة للتمويه ، حيث كان من المستبعد أن يخطر هذا المكان ببال أى مخلوق .

ضرب الدكتور (ناظم) راحته بقبضته ، قائلاً فى أسى :

- ولكنه عرف مخبأها ، وحصل عليها ..

لوح القائد الأعلى بكفه ، قائلاً :

- هذا يجعله وحده أشبه بجيش متكامل .

قال الدكتور (ناظم) فى مرارة :

- بل يجعله الأكثر قوة .

زفر القائد مرة أخرى ، وقال :

- هذا يفرض ضرورة تلافى المواجهة المباشرة معه ، والعمل على الإيقاع به بالوسائل الأخرى .

رفع الدكتور (ناظم) عينيه إليه ، قائلاً :

- هل أبلغ هذا لـ(نور) وفريقه ؟

أومأ القائد الأعلى برأسه إيجابًا ، وقال :

- بالتأكيد .. المهم أن يمكنهم تنفيذه ..

ولم يدرك القائد لحظتها أنه من الأهم أن تجد الرسالة (نور) وفريقه ..

وعلى قيد الحياة ..

* * *

شحب وجه (نشوى) ، وهى تحدق فى الحجرة الخالية ، قبل أن تهتف :

- أين ذهب (أكرم) ؟.. كيف غادر الحجرة ، دون أن نشعر بهذا ؟

قال (محمود) بصوت مضطرب :

- يبدو كما لو أنه قد اختفى بغتة .. لقد كنت أتطلع إليه منذ دقيقة واحدة ، وفى الدقيقة التالية لم يكن هناك أدنى أثر له .

لوح (رمزى) بكفه ، وقال :

- المدهش أكثر أن هذا الباب هو المدخل الوحيد للحجرة ، فكيف غادرها دون عبوره ؟

لم يجد أحدهم جوابًا لسؤاله ، وراحوا يحدقون فى الحجرة

الغالية بدهشة بالغة ، حتى انتفض جسد (نشوى) فجأة ، وهى تلتفت إلى الجدار المجاور ، هاتفة :

ـ ما هذا ؟!

كانت قد شعرت بتلك الحركة الخافتة ، قبل أن تلتفت إليها ، وعندما استدار (رمزى) و (محمد) ليحدقا فى الجدار نفسه ، كانت الحركة قد تطوّرت ، وأصبحت أكثر وضوحًا ..

وفى بطء ، انفصل ذلك الجزء من الحائط ..

أو ظهر فى وضوح ..

وكواحدة من الخدع السينمائية الهولوجرافية المتقنة ، تبدّلت ألوان ذلك الجسم فى سرعة ، وتخلّى عن محاكاته للون وشكل الحائط ، ليتخذ شكله الآلى المخيف ..

وانتصب ذلك الجسم المعدنى الممشوق ، أمام عيون الثلاثة ..

وحدّقت آلتا تصوير الفيديو فيها ..

وفى ذعر هتف (محمود) :

ـ إنه هو .

وفى حركة سريعة مباغتة ، ضرب الآلى صدر (محمود) ، الذى أطلق شهقة قوية للغاية ، قبل أن يرتطم بالحائط فى عنف ، ثم يسقط فاقد الوعى ، وتدحرج منظاره الطبى عند قدمى الآلى ، فصرخت (نشوى) :

ـ ماذا فعلت بـ(محمود) ؟

التفت إليها الآلى فى بطء ، ثم خطا نحوها ، وسحقت قدمه الثقيلة منظار (محمود) سحقًا ، فقفز (رمزى) يحميها بجسده ، هاتفًا :

ـ لن تمسّ شعرة واحدة منها .

جذبه الآلى من قميصه بغتة ، ورفعه فى سهولة ، ثم ألقاه نحو الجدار الذى جاء منه فى قوة ، وارتطم به (رمزى) فى عنف ، ثم سقط على وجهه ..

وكانت آلامه رهيبة ..

ولكن حبه لـ(نشوى) كان يفوق كل الآلام ..

وكل المشاعر ..

وبكل هذا الحب ، هبّ (رمزى) واقفًا على قدميه ، وانقضّ مرة أخرى على الآلى ، وقفز يتعلق بعنقه من الخلف ، صائحًا :

ـ لن أسمح لك .

أدار الآلى يده خلف ظهره بحركة سريعة ، وانتزع (رمزى) عن مكانه ، بقوة تفوق قوة البشر ، ثم قذفه نحو النافذة الزجاجية السميكة ..

وارتطم (رمزى) بالنافذة فى قوة ، ثم هوى فوق أجهزة

التحكم ، وسقط أرضًا ، ودار رأسه فى قوة ، فى حين التصقت (نشوى) بالحائط ، وصرخت فى ارتياع :

ـ النجدة .. النجدة .

حاول (رمزى) أن ينهض لنجدتها مرة أخرى ، ولكنه عجز هذه المرة تمامًا ، وتفجّرت المرارة فى أعماقه ، عندما رأى الآلى يصوّب مدفعه الليزرى الدقيق نحو (نشوى) ، التى صاحت :

ـ لا .. لا تقتلنى .

ولكن الآلى لم يتردّد لحظة واحدة ..

وأطلق الأشعة القاتلة .

* * *

انتهى الجزء الأول بحمد الله

ويليه الجزء الثانى

(الانفجار الحى) .